عقائد أهل الكتاب

دراسة في نصوص العهدَين

تأليف
العالم البحّاثة
الأستاذ أحمد مختار رمزي

اعتنى بإخراجه بعض تلامذة المؤلف



عقائد
أهل الكتاب

□ **عقائد أهل الكتاب**، دراسة في نصوص العهدين
تأليف: الأستاذ أحمد مختار رمزي
الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م
جميع الحقوق محفوظة باتفاق وعقد ©
عدد الصفحات: ٢٠٤
قياس القطع: ١٧×٢٤
الرقم المعياري الدولي: ٩-٠٧٣-٢٣-٩٩٥٧-٩٧٨ :ISBN
رقم الإيداع بدائرة المكتبة الوطنية: ٢٠٠٧/٩/٢٨١٣

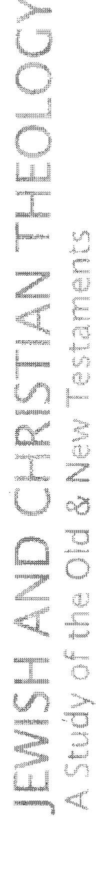


دار الفتح للدراسات والنشر

جوال ٤٦٧ ٩٢٥ ٧٧٧ (٠٠٩٦٢)
فاكس ٦٢٠١ ٥١٥ (٠٠٩٦٢٦)
ص.ب ١٨٣٤٧٩ عمّان ١١١١٨ الأردن
البريد الإلكتروني: info@alfathonline.com
الموقع على شبكة الإنترنت: www.alfathonline.com

عقائد أهل الكتاب

دراسة في نصوص العهدَين

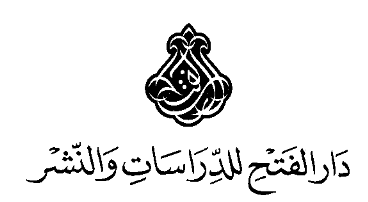


تأليف

العالم البحّاثة

الأستاذ أحمد مختار رمزي

اعتنى بإخراجه بعض تلامذة المؤلف



2008



المقدّمة

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ * قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾.

﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾.

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

«اللهمّ صلِّ على محمد النبي الأمي وأزواجه أمهات المؤمنين، وذريته، وأهل بيته، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد»(١).

أما بعـد،

فهذا كتيبٌ مختصرٌ في عقائد أهل الكتاب، كتبتُ فصولَه في أوقات متفرقة وأحيان متباعدة. استقيته مباشرة من نصوص أسفار كتابهم المقدس، ورسائل رسلهم، وقراءات مجامعهم، وأقوال أحبارهم ورهبانهم، حتى يكون القارئ على بصيرة من أمره، وتستبين له الحقيقة.

---

(١) أخرجه أبو داود بسنده إلى أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى، إذا صلى علينا أهل البيت، فليقل: ...» الحديث.

وعلم الله أني لم أرد به غلبة في جدال، أو تفوقاً في مناظرة، أو تهجماً على اعتقاد، وما قصدت به إحراجاً ولا إيلاماً، بل كان قصدي إظهار الحقيقة لتصل الهداية إلى القلوب، وتشرق النفوس بنور اليقين، متمثلاً قول الله تعالى:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وفي الختام أتقدم بالشكر الجزيل لتلميذي الباحث المحقق الأستاذ حمد الله حافظ الصفتي، المدرس في كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر، على ما بذله من سعي حميد في طبع هذا الكتاب، حتى برز إلى أيدي القرّاء، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

أحمد مختار بن عثمان بن محمد رمزي بن عثمان بن عبد الله

غفر الله لهم

تحريراً في ١٢ من جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ، ٢٩ من مايو سنة ٢٠٠٧م

كلمةٌ موجزةٌ عن
أسفار العهد القديم

اعتمد اليهود في أسفارهم تسعةً وثلاثين سفراً، أطلق عليها في العصور المسيحية اسم: (العهد القديم) للتفرقة بينها وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم التي أطلقوا عليها اسم (العهد الجديد).

واعتبروا هذه الأسفار التسعة والثلاثين أسفاراً مقدسة، أي: موحى بها، أو كتبت بالإلهام في زعمهم.

ويراد بكلمة (العهد) في هاتين التسميتين: ما يرادف معنى الميثاق، أي أن كلتا المجموعتين تمثل ميثاقاً أخذه الله على الناس، وارتبطوا به معه، فأولاهما تمثل ميثاقاً قديماً من عهد موسى، والأخرى تمثل ميثاقاً جديداً من عهد عيسى[1]، وتنقسم أسفار العهد القديم أربعة أقسام:

القسم الأول: الأقسام الخمسة الأولى، وهي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر التثنية، وسفر اللاويين، وسفر العدد.

وهي منسوبة إلى موسى عليه السلام، ولذلك تسمى كتب موسى، كما يطلق عليها

---

(١) انظر: «الأسفار المقدسة» للدكتور علي عبد الواحد، ص١٣.

التوراة[١] في نظر اليهود، أو الناموس.

أما سفر التكوين (ويسمى سفر الخليقة أيضاً) فيقص تاريخ العالم من تكوين السماوات والأرض (ومن ثم سمي سفر التكوين أو الخليقة) إلى استقرار أولاد يعقوب أو إسرائيل (وهو اسم آخر أو لقب ليعقوب) في أرض مصر، مع تفصيل في قصص آدم وحواء، ونوح، والطوفان، ونسل سام (أحد أبناء نوح، وهو الذي انحدر منه شعب إسرائيل، وخاصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط، وإجمال فيما عدا ذلك.

وأما سفر الخروج: فيعرض تاريخ بني إسرائل في مصر، وقصة موسى عليه السلام، ورسالته، ودعوته لفرعون، ومعجزاته، وآيات الله على فرعون وقومه لما خرجوا من مصر متجهين إلى فلسطين، ومن ثم سُمي: سفر الخروج.

وتاريخهم في أثناء رحلة (التيه) التي قضَوها في صحراء سيناء أربعين عاماً، وهي التي يشير إليها القرآن الكريم إذ يقول: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٦]. أي: أرض الميعاد، وهي بلاد كنعان التي وعدهم الله بها، وبجانب هذه القصص يشتمل سفر الخروج على طائفة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات والعقوبات، وما إلى ذلك.

وأما سفر اللاويين: فقد أوضح كيفية تقديم الذبائح، وما يتعلق بالقرابين، وكفارات الخطايا، وبيان الحيوانات والطيور التي تؤكل والتي لا تؤكل والواجبات المترتبة على ذلك من قبل الكاهن والعابد.

كما أوضح أحكام النفاس والطمث، والجماع، وكيفية التطهر منها، وكذا بعض

---

(١) لفظ عبري بمعني: التعليم والشريعة، وقد يطلق ذلك اللفظ على مجموع كتب العهد العتيق مجازاً. انتهىٰ. من «إظهار الحق» (١ : ٣٨).

الأمراض الجلدية، كالبرص والقوباء، وما شابه ذلك.

وبيَّن العقوبات المتعلقة بالردة، وصناعة التماثيل، والقتل والزنا، والشذوذ الجنسي، والجراح.

كما بيَّن المحافل (الأعياد المقدسة) وما يقدم فيها، وبيَّن عشور الأرض من الحيوان والثمار، وعشور البقر والغنم.

هذا، واللاويون هم نسل (لاوي) أو (ليفي) من أحد أبناء يعقوب، ومنهم موسى وهارون.

وكان اللاويون سدنة الهيكل والمشرفين على شؤون الذبح والقرابين، والقوامين على الشريعة اليهودية، ومن ثم نُسِب إليهم هذا السفر الذي شغل معظمه بما يشرفون عليه من عبادات ومعاملات.

وأما سفر العدد: فهو رابع الأسفار المنسوبة إلى موسى عليه السلام وقد شُغِلَ معظمه بإحصائيات عن بني إسرائيل حسب عشائرهم، وبيوت آبائهم، ومن ثم سُمي سفر العدد، وبأحكام تتعلق بطائفة من العبادات والمعاملات، وبيان واجبات الكهنة واللاويين وامتيازاتهم.

وأما سفر التثنية: فهو السفر الخامس من الأسفار المنسوبة إلى موسى عليه السلام، كما ورد في الترجمة السبعينية، وسمي: (التثنية) لأنه يعيد أو يكرر ذكر التعاليم التي تلقاها موسى من ربه، وأمر بتبليغها إلى بني إسرائيل.

والقصد من هذا التكرار هو التوضيح والتثبت، ويشمل على وصايا وأحداث، وتشريعات، وأحكام، وعبادات، ومواعظ، وآداب.

وفي آخر إصحاحات هذا السفر، ذكر موت موسى، ودفنه في أرض مؤاب، ثم

قيل: «ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم».

والعبارة تفيد أن كتابتها، وبالتالي كتابة الإصحاح، ثم كتابة السِّفر إنما كانت بعد مدة طويلة من موت موسى عليه السلام.

القسم الثاني: ويسمى بالأسفار التاريخية، وهي إثنا عشر سفراً، تعرض لتاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين، وبعد استقرارهم في فلسطين، وتُفصِّل تاريخ قضاتهم، وملوكهم، وآياتهم، والحوادث البارزة في شؤونهم.

وهي أسفار: يوشع، والقضاة، وراعوث، وصموئيل (سفران)، والملوك (سفران)، وأخبار الأيام (سفران)، وعزرا، ونحميا، واستير.

والقسم الثالث: ويسمى أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية، وهي أناشيد، ومواعظ معظمها ديني، مؤلفة تأليفاً شعرياً في أساليب بليغة، وعددها خمسة أسفار، وهي: سفر أيوب، ومزامير داود، وأمثال سليمان، والجامعة من كلام سليمان، ونشيد الأنشاد لسليمان[١].

والقسم الرابع: يسمى أسفار الأنبياء، وعددها سبعة عشر سفراً، يعرض كل منها لتاريخ نبي من أنبياء بني إسرائيل الذين أرسلوا إليهم بعد موسى وهارون، وهي أسفار: أشعياء، أرمياء، مراثي أرمياء، وحزقيال، ودانيال، وهوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوبديا، ويونان (يونس)، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفينا، وحجي، وزكريا، وملاخي.

---

(١) القول بأنه من تأليف سليمان غلط، قال عنه وشتن: إنه غناء فسقي، فليخرج من الكتب المقدسة، وحكم كاسيليو بإخراج هذا الكتاب من كتب العهد العتيق لأنه غناء نجس. «إظهار الحق» (١: ٥٣، ٥٤).

أين التوراة الحقيقية؟!

ثبت أن التوراة المتداولة الآن ليس هي التوراة التي أنزلها الله على موسى، وأن نسختها الأصلية فقدت في حادثة بخت نصَّر.

وزعموا أن عزيزاً أعاد كتابتها مرة أخرى، ولكن جميع النسخ التي كتبها فُقِدت في حادثة أنيثوكس.

جاء في الباب الأول من الكتاب الأول للمقابيين:

«لما فتح أنتيوكس ملك ملوك الفرنج أورشليم أحرق جميع نسخ كتب العهد العتيق التي حصلت له من أي مكان بعد ما قطعها، وأمر أن من يوجد عنده نسخة من نسخ كتب العهد العتيق أو يؤدي رسم الشريعة يقتل، وكان تحقيق هذا الأمر في كل شهر، فكان يقتل من وجد عنده نسخة من كتب العهد العتيق، أو ثبت أنه أدى رسماً من رسوم الشريعة. وفقدت تلك النسخة انتهىٰ ملخَّصاً نقلاً من «إظهار الحق» (١ : ٢٣٨).

وكانت هذه الحادثة قبل ميلاد المسيح بمئة وإحدى وستين سنة، فانعدمت في هذه الحادثة جميع النسخ التي كتبها عزرا.

قال جان ملفر كاتلك: أنه لما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا، ضاعت تلك النقول أيضاً في حادثة أنيثوكس. انتهىٰ[1].

---

(١) نقلاً من «إظهار الحق» (١ : ٢٣٨).

صفات الله عند أهل الكتاب

إن أسفار العهد القديم شبهت الله بخلقه، فقالت عنه: إنه عمل الإنسان على صورته وشبهه، وإنه استراح في اليوم السابع من جميع عمله بعد أن فرغ من خلق السماوات والأرض، وإنه حزن وتأسف لأنه خلق الإنسان لما رأى الشر قد كَثُر في الأرض، وأسف أيضاً أنه صَيَّر شاول ملكاً، وكان يندم كذلك على فعل الخير والشر.

ووصفته بأنه كان ينزل في عمود سحاب ويقف في باب خيمة الاجتماع، وأنه كان يركب السحاب، وأنه كلم موسى فماً إلى فم، ووجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه، وأن موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعين من شيوخ إسرائيل قد رأوه وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وأنه أتى بلعام في الليل، وأنه احتاج إلى النزول والنظر ليعلم أنَّ فعل سادوم وعامورة يشاكل الصراخ الواصل إليه أم لا.

كما ذكرت هذه الأسفار أنه استنشق رائحة الشواء، وأن الدخان ارتفع من أنفه والنار التهبت من فمه، وأن الثلج من نفسه، وأنه مِثْلُ السوس لأفرام، و مِثْلُ الدودة لبيت يهوذا، وأنه مِثْلُ أسد و مِثْلُ نمر في طريق الأثوريين، وأنه مِثْلُ الرجل المقاتل، وأنه كان يحارب بيد ممدودة وبذراع قوية.

وقالت عنه إنه كان يتمشى في الجنة، وإنه احتاج إلى الاستفهام من آدم عن مكانه حين اختفى وسط شجر الجنة.

وذكرت أنه تصارع مع يعقوب، وأن إبراهيم حاول إطعامه وتغسيل رجله، وأنه لم

يقدر على استئصال أهل الوادي لمركباتهم الحديدية الكثيرة، وأنه صَرَّ تحت بني إسرائيل كما تصِرُّ العِجلة المحملة حشيشاً، وأنه كان في حاجة إلى الإعانة في مقابلة الأقوياء.

ووصفته أيضاً بالجهالة والضعف وإضلال الأنبياء، وأنه كان يعطي وصايات غير حسنة وأحكاماً لا يحيون بها، فمن ذلك أنه أمر حزقيال أن يحمل اثم آل إسرائيل وآل يهوذا على نفسه وأن يأكل لمدة ثلاثمئةٍ وتسعين يوما كعكاً (خبزاً) من الشعير على الخرء الذي يخرج من الإنسان.

وأمر أشعياء أن يمشى مُعَرىً وحافياً لمدة ثلاث سنين.

وأمر هوشع أن يحب امرأةً حبيبةَ صاحبٍ وزانية، وأن يتخذ لنفسه امرأة زنا وأولاد زنا.

ومن عدله أن كان يقتل البار والمنافق، ويأمر بأخذ المدن وتخريب البيوت، وبقر بطون الحبالى، وفضح النساء، وإهلاك الحرث والنسل.

وأما أوصافه في العهد الجديد فأكتفي منها بما جاء في الإصحاح الرابع من المشاهدات أن يوحنا رآه جالساً على العرش وكان الجالس في المنظر شبه حجر اليشب والعقيق، كما وصفه بولس في رسالته الأولى إلى أهل قورنيثوس بالحماقة والضعف.

وإليك نصوص أسفار العهدين في ذلك:

ــ «(٢٦) وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا... (٢٧) فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه ذكراً و أنثى خلقهم». [سفر التكوين: الإصحاح الأول].

ــ «(٢٢) وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً للخير والشر». [سفر التكوين: الإصحاح الثالث].

ـ «(١) فأكملت السموات والأرض وكل جندها (٢) وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل (٣) وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً». [سفر التكوين: الإصحاح الثاني].

ـ «(٥) ورأى الرب أن شرّ الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصوّر أفكار قلبه إنما هو شريرٌ كل يوم (٦) فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه (٧) فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته، الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء، لأني حزنت أني عملتهم». [سفر التكوين: الإصحاح السادس].

ـ «(١٠) وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً (١١) ندمت على أني قد جعلتُ شاول ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي... (٣٥) ... والرب ندم لأنه ملّك شاول على إسرائيل». [سفر صموئيل: الإصحاح الخامس عشر].

ـ «(٢١) فتنسم الرب رائحة الرِّضى، وقال الرب في قلبه: لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان لأنه تصوُّر قلب الإنسان شرير منذ حداثته، ولا أعود أيضاً أميت كل حي كما فعلت». [سفر التكوين: الإصحاح الثامن].

ـ «(١) الكلام الذي صار إلى أرميا من قبل الرب قائلاً... (٧) تارةً أتكلم على أمة وعلى مملكة بالقلع والهدم والإهلاك (٨) فترجع تلك الأمة التى تكلمت عليها عن شرِّها فأندم على الشر الذي قصدتُ أن أصنعه بها (٩) وتارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالبناء والغرس (١٠) فستفعل الشر في عينيَّ فلا تسمع لصوتي فأندم على الخير الذي قلت إني أحسن إليها به». [سفر أرميا: الإصحاح الثامن عشر].

ـ «(١٢) ولكن الآن يقول الرب ارجعوا إليَّ بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح (١٣) ومزقوا قلوبكم لأثيابكم وارجعوا إلى الرب إلهكم؛ لأنه رءوف رحيم بطيء

الغضب وكثير الرأفة، ويندم على الشر (١٤) لعله يرجع ويندم فيبقي وراءَهُ بركةَ تقدُّمه وسكيباً للرب إلهكم». [سفر يوئيل: الإصحاح الثاني].

ـ «(٤) فقال الرب حالاً لموسى وهارون ومريم اخرجوا أنتم الثلاثة إلى خيمة الاجتماع، فخرج الثلاثةُ (٥) فنزل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة ودعا هارون ومريم فخرجا كلاهما (٦) فقال اسمعا كلامي: إن كان منكم نبيٌّ للرب فبالرؤيا أستعلن له في الحلم أكلمه (٧) أما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي (٨) فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز». [سفر العدد: الإصحاح الثاني عشر].

ـ «(٥) فنزل الرب في السحاب فوقف عنده هناك ونادى باسم الرب (٦) فاجتاز الرب قدامهُ». [سفر الخروج: الإصحاح الرابع والثلاثون].

ـ «(١) وحيٌ من جهة مصر. هو ذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادمٌ إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها». [سفر آشعيا: الإصحاح التاسع عشر].

ـ «(٩) وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة، ويتكلم الرب مع موسى (١٠) فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفاً عند باب الخيمة ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد في باب خيمته (١١) ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه (٢٠) وقال لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش (٢١) وقال الرب هو ذا عندي مكان، فتقف على الصخرة (٢٢) ويكون متى اجتاز مجدي أني أضعك في نقرةٍ من الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز (٢٣) ثم أرفع يدي فتنظر ورائي، وأما وجهي فلا يُرى». [سفر الخروج: الإصحاح الثالث والثلاثون].

ـ «(١) وقال لموسى اصعد إلى الرب أنت وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل واسجدوا من بعيد (٢) ويقترب موسى وحده إلى الرب وهم لا يقتربون،

وأما الشعب فلا يصعد معه... (٩) ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل (١٠) ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة. (١١) ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل. فرأوا الله وأكلوا وشربوا... (١٥) فصعد موسى إلى الجبل فغطى السحاب الجبل (١٦) وحل مجد الرب على جبل سيناء وغطاه السحاب ستة أيام، وفي اليوم السابع دُعي موسى من وسط السحاب (١٧) وكان منظر مجد الرب كنار آكلة على رأس الجبل أمام عيون بني إسرائيل». [سفر الخروج: الإصحاح الرابع والعشرون].

ـ «(٧) فجاء موسى ودعا شيوخ الشعب ووضع قدامهم كل هذه الكلمات التي أوصاه بها الرب (٨) فأجاب جميع الشعب معاً وقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل. فرد موسى كلام الشعب إلى الرب (٩) فقال الرب لموسى ها أنا آتٍ إليك في ظلام السحاب كي يسمع الشعب حينما أتكلم معك فيؤمنوا بك أيضاً إلى الأبد، وأخبر موسى الرب بكلام الشعب (١٠) فقال الرب لموسى: اذهب إلى الشعب وقدّسهم اليوم وغداً، وليغسلوا ثيابهم (١١) ويكونوا مستعدين لليوم الثالث؛ لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء (١٢) وتقيم للشعب حدوداً من كل ناحية قائلاً احترزوا من أن تصعدوا إلى الجبل أو تمسوا طرفه. كل من يمسُّ الجبل يقتل قتلاً (١٣) لا تمسه يدٌ بل يرجم رجماً أو يرمى رمياً، بهيمة كان أم إنساناً لا يعيش، أما عند صوت البوق فهم يصعدون إلى الجبل (١٤) فانحدر موسى من الجبل إلى الشعب وقدَّس الشعب وغسلوا ثيابهم (١٥) وقال للشعب كونوا مستعدين لليوم الثالث، لا تقربوا امرأة (١٦) وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعودٌ وبروقٌ وسحابٌ ثقيل على الجبل، وصوت بوقٍ شديد جدّاً، فارتعد كل الشعب الذي في المحلة (١٧) وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله، فوقفوا في أسفل الجبل (١٨) وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار، وصعد دخانُه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جدّاً

(١٩) فكان صوت البوق يزداد اشتداداً جدّاً وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت (٢٠) ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل، ودعا الله موسى إلى رأس الجبل، فصعد موسى (٢١) فقال الرب لموسى انحدر حذّر الشعب لئلا يقتحموا إلى الرب لينظروا فيسقط منهم كثيرون (٢٢) وليتقدَّس أيضاً الكهنة الذين يقتربون إلى الرب لئلا يبطش بهم الرب». [سفر الخروج: الإصحاح التاسع عشر].

ـ «(٢٠) فأتى الله إلى بلعام ليلاً، وقال له: إن أتى الرجال ليدعوك فقم اذهب معهم، إنما تعمل الأمر الذي أكلمك به فقط (٢١) فقام بلعام صباحاً وشدَّ على أتانِهِ وانطلق مع رؤساء موآب (٢٢) فحمي غضب الله لأنه منطلقٌ ووقف ملاك الرب في الطريق ليقاومه وهو راكبٌ على أتانه وغلاماه معه». [سفر العدد: الإصحاح الثاني والعشرون].

ـ «(٢٠) وقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جداً (٢١) أنزِل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتي إليَّ وإلا فأعلم». [سفر التكوين: الإصحاح الثامن عشر].

ـ «(٥) فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدام يبنونها». [سفر التكوين: الإصحاح الحادي عشر].

ـ «(٧) في ضيقي دعوتُ الرب وإلى إلهي صرختُ فسمع من هيكله صوتي وصراخي دخل أذنيه (٨) فارتجت الأرض وارتعشت أُسُس السموات ارتعدت وارتجت لأنهُ غضب (٩) صعد دخانٌ من أنفهِ ونارٌ من فمهِ أكلت جُمرٌ اشتعلت منه (١٠) طأطأ السموات ونزل وضبابٌ تحت رجليه (١١) ركب على كروب وطار ورُئي على أجنحة الريح». [سفر صموئيل الثاني: الإصحاح الثاني والعشرون].

ـ «(١٠) من نسمة الله يجعل الجمدُ وتتضيق سعة المياه». [سفر أيوب: الإصحاح

السابع والثلاثون].

ــ «(١٢) فأنا لأفرايم كالعث ولبيت يهوذا كالسوس». [سفر هوشع: الإصحاح الخامس].

ــ «(٧) فأكون لهم كأسد، أرصد على الطريق كنمر». [سفر هوشع: الإصحاح الثالث عشر].

ــ «(٣) الرب رجل الحرب، الرب اسمه». [سفر الخروج: الإصحاح الخامس عشر].

ــ «(٥) وأنا أحاربكم بيد ممدودة وبذراع شديدة وبغضب وحموّ وغيظ عظيم (٦) وأضرب سكان هذه المدينة الناس والبهائم معاً، بوباء عظيم يموتون». [سفر أرميا: الإصحاح الحادي والعشرون].

ــ «(٨) وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة (٩) فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت (١٠) فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت». [سفر التكوين: الإصحاح الثالث].

ــ «(٢٤) فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر (٢٥) ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حقّ فخذه، فانخلع حقُّ فخذ يعقوب في مصارعته معه (٢٦) وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال لا أطلقك إن لم تباركني (٢٧) فقال له: ما اسمك، فقال: يعقوب (٢٨) فقال: لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت (٢٩) وسأل يعقوب وقال: أخبرني باسمك، فقال: لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك (٣٠) فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل، قائلاً: لأني نظرتُ الله وجهاً

لوجه، ونجيت نفسي». [سفر التكوين: الإصحاح الثاني والثلاثون].

وفي هذه القصة أشياء لا تليق:

الأول: ذكر المصارعة بين الله وبين يعقوب.

والثاني: امتدادها إلى طلوع الفجر.

والثالث: أنه لم يقو أحدهما على الآخر.

والرابع: أن الله لم يقدر أن ينطلق بذاته فقال أطلقني.

والخامس: أن يعقوب لم يطلقه إلا بعِوَض وهو أن يباركه.

والسادس: أن الله سأل عن اسمه، فكأنه ما كان يعلم اسمه.

ـ «(٩) وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدَّان أرام وباركه (١٠) وقال له الله: اسمك يعقوب لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل يكون اسمك إسرائيل، فدعا اسمه إسرائيل..». [سفر التكوين: الإصحاح الخامس والثلاثون].

ـ «(١) وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار (٢) فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض (٣) وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك (٤) ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة (٥) فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون لأنكم قد مررتم على عبدكم، فقالوا هكذا تفعل كما تكلمت (٦) فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال: أسرعي بثلاث كيلات دقيقاً سميذاً، اعجني واصنعي خبز ملة (٧) ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلاً رخصاً وجيداً وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله (٨) ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم. ولما كان هو واقفاً عند الشجرة أكلوا... (١٦) ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم، وكان إبراهيم ماشياً معهم ليشيعهم (١٧) فقال الرب: هل أخفي عن إبراهيم

ما أنا فاعله (١٨) وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الأرض (١٩) لأني عرفته لكي يوصي بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا برّاً وعدلاً حتى يأتي الرب لإبراهيم بما تكلم به (٢٠) وقال الرب: إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيئتهم عظمت جداً (٢١) أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى إليَّ، وإلا فأعلم (٢٢) فانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم، وأما إبراهيم فكان لم يزل قائماً أمام الرب». [سفر التكوين: الإصحاح الثامن عشر].

ـ «(١٩) وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل ولكن لم يطرد سكان الوادي لأن لهم مركبات حديد». [سفر القضاة: الإصحاح الأول].

ـ «(١٣) ها أنا ذا أصر من تحتكم كما تصر العجلة المحملة حشيشاً». [سفر عاموس: الإصحاح الثاني] (ترجمة عربية سنة ١٨٤٤).

ـ «(٢٣) العنوا ميروز، قال ملاك الرب: العنوا ساكنيها لعناً، لأنهم لم يأتوا لمعونة الرب، معونة الرب بين الجبابرة». [سفر القضاة: الإصحاح الخامس].

ـ «(٩) وأعطيتهم أيضاً فرائض غير صالحة وأحكاماً لا يحيون بها». [سفر حزقيال: الإصحاح العشرون].

ـ «(١٢) وتأكل كعكاً من الشعير، على الخرء الذي يخرج من الإنسان تخبزه أمام عيونهم (١٤) فقلت: آه يا سيدي الرب، ها نفسي لم تتنجس ومن صباي إلى الآن لم آكل ميتة أو فريسة ولا دخل فمي لحم نجس (١٥) فقال لي انظر، قد جعلت لك خِثْيَ البقر بدل خرء الإنسان فتصنع خبزك عليه». [سفر حزقيال: الإصحاح الرابع].

ـ «(١) تلك الرب عن يد إشعياء بن آموص قائلاً اذهب وحل المسح عن حقويك واخلع حذاءك عن رجليك، ففعل هكذا ومشى معرى وحافياً (٢) فقال الرب كما مشى

عبدي إشعياء معرى وحافياً ثلاث سنين آية وأعجوبة ...». [سفر إشعياء: الإصحاح العشرون].

ـ «أول ما كلم الرب هوشع قال الرب لهوشع اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى ...». [سفر هوشع: الإصحاح الأول].

ـ «وقال الرب لي: اذهب أيضا أحبب امرأة حبيبة صاحب وزانية ...». [سفر هوشع: الإصحاح الثالث].

ـ «(٩) فإذا ضلَّ النبي وتكلم كلاماً فأنا الرب قد أضللت ذلك النبي وسأمد يدي عليه وأبيده من وسط شعبي إسرائيل». [سفر حزقيال: الإصحاح الرابع عشر].

ـ «(٣) وقل لأرض إسرائيل، هكذا قال الرب، ها أنا ذا عليك وأستلُّ سيفي من غمده، فأقطع منك الصديق والشرير (٤) من حيث إني اقطع منك الصديق والشرير، فلذلك يخرج سيفي من غمده على كل بشر من الجنوب إلى الشمال (٥) فيعلم كل بشر أني أنا الرب سللت سيفي من غمده لا يرجع أيضاً». [سفر حزقيال: الإصحاح الحادي والعشرون].

ـ «(١٣) فتقول لهم، هكذا قال الرب، ها أنا ذا املأ كل سكان هذه الأرض والملوك الجالسين لداود على كرسيه والكهنة والأنبياء وكل سكان أورشليم سكراً (١٤) وأحطمهم الواحد على أخيه الآباء والأبناء معاً، يقول الرب: لا أشفق ولا أترأف ولا أرحم من إهلاكهم». [سفر أرميا: الإصحاح الثالث عشر].

ـ «(١) متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحيثيين والجرحاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك (٢) ودفعهم الرب إلهك أمامك

وضربتهم فإنك تحرمهم، لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم». [سفر التثنية: الإصحاح السابع].

ـ «(١٦) تجازى السامرة لأنها قد تمرَّدت على إلهها، بالسيف يسقطون، تحطم أطفالهم والحوامل تشقُّ». [سفر هوشع: الإصحاح الثالث عشر].

ـ «(١٩) وضرب أهل بيت شمس لأنهم نظروا إلى تابوت الرب، وضرب من الشعب خمسين ألف رجل وسبعين رجلاً، فناح الشعب لأن الرب ضرب الشعب ضربة عظيمة». [سفر صموئيل الأول: الإصحاح السادس].

ـ «(٢) هكذا يقول رب الجنود، إني قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف لهم في الطريق عند صعوده من مصر (٣) فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ماله ولا تعفُ عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً». [سفر صموئيل الأول: الإصحاح الخامس عشر].

ـ «(٢) وأجمع كل الأمم على أورشليم للمحاربة فتؤخذ المدينة وتنهب البيوت وتفضح النساء». [سفر زكريا: الإصحاح الرابع عشر].

ـ «(٤) فقال الرب لموسى خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس فيرتد حموّ غضب الرب عن إسرائيل (٥) فقال موسى لقضاة إسرائيل اقتلوا كل واحدٍ قومُه المتعلقين ببعل فغور... (٢٥) وكان الذين ماتوا بالوباء أربعة وعشرين ألفاً...». [سفر العدد: الإصحاح الخامس والعشرون].

وإني لأتردد كثيراً وأشعر بالتأثم عندما أنقل عبارة **جان كلارك** تعليقاً على بعض نصوص التوراة، ولكنى أذكرها للحقيقة والتاريخ منزهاً الله عن كل النقائص جل ذكره وتقدس اسمه وتعالت صفاته.

قال: «إن إله بني إسرائيل هذا ليس قاتلاً ظالماً كاذباً أحمق مضلاً فقط، بل هو نار محرقة أيضاً، كما قال بولس في الآية التاسعة والعشرين من الإصحاح الثاني عشر من الرسالة العبرانية: (إلهنا نار آكلة)، والوقوع في يدي هذا الإله مخاف، كما قال بولس في الآية الحادية والثلاثين من الإصحاح العاشر من الرسالة العبرانية: (مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي) فتحصيل الحرية من رقية مثل هذا الإله بالعجلة المقدروة أحسن؛ لأنه إذا لم يُنْجِ ابنه الوحيد، فمن يرجو منه الرحمة واللطف؟! وهذا الإله الذي يحكم هذه الكتب، إنه إله ليس بقابل أن يُعتمد عليه بل هو شيء غير محقق جامع للأضداد مضل أنبيائه. انتهىٰ.

وقال الأبوصيرى في لاميته في شأن العهد العتيق وأهله:

وكفاهم أن مثلوا معبودهم	سبحانه بعباده تمثيلا
وبأنهم رحلوا له في قبة	إذ أزمعوا نحو الشآم رحيلا
وبأن إسرائيل صارع ربه	فرمى به شكراً لإسرائيلا
وبأنهم سمعوا كلام إلههم	وسبيلهم أن يسمعوا منقولا
وبأنهم ضربوا ليسمع ربهم	في الحرب بوقات لهم وطبولا
وبأن رب العالمين بدا له	في خلق آدم يا له تجهيلا
وبأنه من أجل آدم وابنه	ضرب اليدين ندامة وذهولا
وبدا له في قوم نوح وانثنى	أسفاً يعض بنانه مذهولا
وبأن إبراهيم حاول أكله	خبزاً ورام لرجله تغسيلا
وبأن أموال الطوائف حللت	لهمُ رباً وخيانه وغلولا
وبأنهم لم يخرجوا من أرضهم	فكأنما حسبوا الخروج دخولا
لم ينتهوا عن قذف داود ولا	لوطٍ فكيف بقذفهم روبيلا

وعـزوا إلى يعقــوب مـن أولاده ذكـراً مـن الفعـل القبـيح مهـولا
وإلى المسيح وأمـه وكفـى بهــا صدِّيقــة حملــت بـه وبتـولا
وأبيك ما أعطى يهــوذا خاتمــا لزنــى بمحصــنة ولا منديـــلا
لوّوا بغير الحق ألســـنة بمـــا قالـــوه في ليـاً وفي راحيـــلا
ودعـوا ســليمان النبي بكافــر واستهونـــوا إفكـاً عليـه مقـولا
وجنوا على هارون بالعجل الذي نســبوا لـــه تصـويره تضـليلا

إلى أن قال:

الله أكــبر إن ديـــن محمـــد وكتابــــه أقـوى وأقـوم قيـــلا
طلعت به شمس الهداية للـورى وأبـى لهـا وصـف الكـمال أفـولا
والحق أبلج في شـــريعتــه التي جمعـت فروعـاً للهـدى وأصـولا
لا تذكروا الكتب السوالف عنده طلـع الصـباح فـأطفئ القنـديلا
درست معالمها ألا فاستـخبـروا عنهـا رسـوماً قـد عفـت وطلـولا

وبعد أن ألم القارئ ببعض ما نسبه الإسرائيليون لله من صفات في العهد القديم، نثني ببعض النصوص الحرفية الواردة عنه في التلمود، وهو شريعة بني إسرائيل التى كتبها الحاخامات، ويعتبره اليهود كتاباً منزلاً كالتوراة بل يفضلونه عليها:

يقول التلمود: إن النهار اثنتا عشرة ساعة، في الثلاث الأولى منها يجلس الله ويطالع الشريعة، وفي الثلاث الثانية يحكم، في الثلاث الثالثة يطعم العالم، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك.

ويقول مناحم: إنه لا شغل لله في الليل غير تعلم التلمود مع الملائكة، ومع ملك الشياطين ـ أسمودية ـ في مدرسة السماء، ثم إن «أسمودية» ينصرف من السماء بعد

صعوده إليها كل يوم.

والحوت كبير جداً يمكن أن يتسع حلقه لسمكة طولها ٣٠٠ فرسخ دون أن تضايقه، ونظراً لحجمه الكبير فقد رأى الله أن يحرمه من زوجته، لأنه إن لم يفعل ذلك امتلأت الدنيا وحوشاً تهلك من فيها.

ولهذا حبس الله الذكر بقوته الإلهية، وقتل الأنثى وملَّحها وأعدها لطعام المؤمنين في الفردوس.

ولم يلعب الله مع الحوت بعد هدم الهيكل، ومن ذلك الوقت لم يمل إلى الرقص مع حواء بعد أن زينها بملابسها، ونسق لها شعرها، وقد اعترف الله بخطئه في هدم الهيكل، فصار يبكي ويمضي ثلاثة أرباع الليل يزأر كالأسد قائلاً: تبّاً لي لأني أمرت بخراب بيتي، وإحراق الهيكل ونهب أولادي، وشغل الله مساحة أربع سموات فقط بعد أن كان ملء السموات والأرض في جميع الأزمان!

وعندما يسمع الله تمجيد الناس له يطرق برأسه ويقول:

«ما أسعد الملك الذي يمدح ويبجل مع استحقاقه لذلك، ولا يستحق شيئاً من المدح الأب الذي يترك أولاده في الشتاء».

أما سبع ألاي الذي يشبهون زئير الله بزئيره، فهو سبع (غابة ألاي) الذي أراد إمبراطور روما أن يراه، ولما أحضر إليه وصار على بعد أربعمئة فرسخ زأر زئيراً أحدث ضجة أجهضت النساء الحبالى، وهدمت أسوار روما، ولما صار على بعد ثلاثمئة فرسخ زأر مرة أخرى، فوقعت أضراس أهل روما، ووقع الإمبراطور من فوق عرشه على الأرض مغشياً عليه، وطلب بعد إفاقته أن يعود هذا السبع إلى مكانه فوراً.

ويندم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة حتى أنه يلطم ويبكي كل يوم، فتسقط

من عينيه دمعتان في البحر، فيسمع دويها من بدء العالم إلى نهايته، وتضطرب المياه وترتجف الأرض في أغلب الأوقات فتحصل الزلازل.

وأما تخطئة القمر لله؛ فإنه قال له: أخطأت حيث خلقتني أصغر من الشمس، فأذعن الله لذلك، واعترف بخطئه وقال: اذبحوا لي ذبيحة أكفر بها عن ذنبي، لأني خلقت القمر أصغر من الشمس!

والله ليس معصوماً من الطيش ـ كما يقول التلمود ـ لأنه حين يغضب يستولى عليه الطيش كما حدث منه يوم أن غضب من بني إسرائيل في الصحراء، وحلف أن يحرمهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم على ذلك بعد إفاقته، ولم ينفذ ذلك القسم، لأنه عرف أنه يخالف العدالة!

وجاء في التلمود أن الله إذا حلف يميناً غير قانونية، احتاج إلى من يحلله من يمينه، وقد سمع الله تعالى أحد عقلاء الإسرائيليين يقول: من يحللنى من اليمين التي أقسمت بها، وحينما علم باقي الحاخامات أنه لم يحلله منها اعتبروه حماراً، لأنه لم يحلل الله من يمينه، ولذلك نصبوا ملكاً بين السماء والأرض اسمه «مي» لتحليل الله من أيمانه ونذوره عند الضرورة!

وكما أن الله حنث في يمينه فقد كذب أيضاً بقصد الإصلاح بين إبراهيم وزوجته سارة.

والله مصدر الشر، كما أنه مصدر الخير، وقد جعل للإنسان طبيعة رديئة وسن له شريعة لولاها لما وقع في خطأ، وقد أجبر اليهود على قبولها، ولهذا لم يرتكب الملك داود خطيئة قتله لأوريا وبزناه بامرأته، ولا يستحق العقاب على ذلك منه تعالى، لأنه هو السبب في كل ذلك. انتهى.

وهاكم ثلاثة نصوص اكتفيت بذكرها من العهد الجديد:

١ـ رسالة بولس الرسول الأولى لأهل كورنثوس ـ الإصحاح الأول:

«(٢٥) لأن جهالة الله أحكم من الناس، وضعف الله أقوى من الناس».

٢ـ رؤيا يوحنا اللاهوتي ـ الإصحاح الرابع:

«(٢) وللوقت صرتُ في الروح، وإذا عرش موضوع في السماء، وعلى العرش جالس ربي، وكان الجالس في المنظر شبه حجر اليشب والعقيق وقوس قزح حول العرش في المنظر شبه الزمرد».

٣ـ أعمال الرسل ـ الإصحاح العشرون:

«(٢) احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه».

* * *

النبوة عند أهل الكتاب

جاء في كتاب «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه» للأستاذ عباس العقاد بصدد الكلام عن النبوة في الأديان الكتابية ما نصه:

«وقد عرفت قبائل العبريين نبوءات السحر والكهانة والتنجيم كما عرفتها الشعوب البدائية، وابتكرت منها ما ابتكرت على سنة الشعوب كافة، واقتبست منها ما اقتبست بعد اتصالها بجيرانها في المقام من أهل البادية أو أهل الحاضرة ـ ولكنها على خلاف الشائع بين المقلدين من كتاب الغربيين ـ قد تعلمت النبوة الإلهية بلفظها ومعناها من شعوب العرب، ولم تكن لهذه الكلمة عند العبريين لفظة تؤديها قبل وفودهم على أرض كنعان ومجاورتهم للعرب المقيمين في أرض مدين» .. فكانوا يسمون النبي بالرائي أو الناظر أو رجل الله، ولم يطلقوا عليه اسم النبي إلا بعد معرفتهم بأربعة من أنبياء العرب المذكورين في التوراة، وهم ملكي صادق وأيوب وبلعام وشعيب الذي يسمونه يترون معلِّم موسى الكليم، ويرجح بعضهم أنه الخضر عليه السلام للمشابهة بين لفظ يترون وخثرون وخَضِر في مخارج الحروف، ولما ورد من أخبار الكليم مع الخضر عليهما السلام في تفسير القرآن الكريم.

ومن علماء الأديان الغربيين الذين ذهبوا إلى اقتباس العبريين كلمة النبوة من العرب الأستاذ هولشر Holacher والأستاذ شميدث Schmidt اللذان يرجحان أن الكلمة دخلت في اللغة العبرية بعد وفود القوم على فلسطين، إلا أن الأمر غني عن الخبط

فيه بالظنون مع المستشرقين، من يفقه منهم اللغة العربية ومن لا يفقه منها غير الأشباح والخيالات، فإن وفرة الكلمات التي لا تلتبس بمعنى النبوة في اللغة العربية كالعرافة، والكهانة، والعيافة، والزجر، والرؤية، تغنيها عن اتخاذ كلمة واحدة للرائي وللنبي، وتاريخ النبوات العربية التي وردت في التوراة سابق لاتخاذ العبريين كلمة النبي بدلاً من كلمة الرائي الناظر، وتلمذة موسى لنبي مَدْيَن مذكورة في التوراة قبل سائر النبوات الإسرائيلية، وموسى الكليم ولا ريب رائد النبوة الكبرى بين بني إسرائيل.

والمطلع على الكتب المأثورة بين بني إسرائيل يتبين منها أنهم آمنوا بهذه النبوءات جميعاً، وأنهم بعد ارتقائهم إلى الإيمان بالنبوة الإلهية مازالوا يخلطون بين مطالب السحر والتنجيم ومطالب الهداية ويجعلون الاطلاع على المغيبات امتحاناً لصدق النبي في دعواه أصدق وألزم من كل امتحان، ولم يرتفع بأكبر أنبيائهم ورسلهم عن مطلب الاتجار بالكشف عن المغيبات والاشتغال في التنجيم. ففي أخبار صموئيل أنهم كانوا يقصدونه ليدلهم على مكان الماشية الضائعة وينقدونه أجره على ردها ... «خذ معك واحداً من الغلمان وقم اذهب فتش عن الأتن، فقال شاول للغلام : فماذا نقدم للرجل؟ لأن الخبز قد نفد من أوعيتنا وليس من هدية نقدمها لرجل الله، ماذا معنا؟ فعاد الغلام يقول: هو ذا يوجد بيدي ربع شاقل فضة».

ويؤخذ من النبوءات التي نسبوها إلى النبي يعقوب جدِّ بني إسرائيل أنهم كانوا يعولون عليه في صناعة التنجيم فإن النبوءات المقرونة باسماء أبناء يعقوب تشير إلى أبراج السماء، وما ينسب إليها من طوالع ومن أمثلتها عن شمعون ولاوي أنهما: «أخوان سيوفهما آلات ظلم في مجلسهما لا تدخل نفسي، لأنهما في غضبهما قتلا إنساناً وفي رضائهما عرقبا ثوراً ..».

وهذه إشارة إلى برج التوأمين وهو برج إله الحرب زجال عند البابليين، ويصورون

أحد التوأمين وفي يده خنجر ويصورون أخاه وفي يده منجل .. وتشير عرقبة الثور إلى برج الثور الذي يتعقبه التوأمان.

ومن الأمثلة في هذه النبوءات المنسوبة إلى يعقوب مثل يهوذا، جرو أسد جثا وربض كأسد ولبوة، لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب.

وهذه إشارة إلى برج الأسد، وهو عند البابليين برجان يبدو أمام أحدهما برج يشير إلى علامة الملك الذي تخضع له الملوك[١].

وتجري النبوءات عن سائر الأسماء ـ اثني عشر اسماً ـ كل اسم منها يوافق برجاً من أبراج السماء على مثال ما قدمناه.

وقد كثر عدد الأنبياء في قبائل بني إسرائيل كثرة يفهم منها أنهم كانوا في أزمانهم المتعاقبة يشبهون في العصور الحديثة أصحاب الأذكار ودراويش الطرق الصوفية، لأنهم جاوزوا المئات في بعض العهود واصطنعوا من الرياضة في جماعاتهم ما يصطنعه هؤلاء الدراويش من التوسل إلى حالة الجذب تارة بتعذيب الجسد، وتارة بالاستماع إلى آلات الطرب.

جاء في كتاب صموئيل الأول:

إن شاول أرسل لأخذ داود رسلاً «فرأوا جماعة الأنبياء يتنبّؤون وشاول واقف بينهم رئيساً عليهم، فهبط روح الله على رسل شاول فتنبأوا هم أيضاً وأرسل غيرهم فتنبأ هؤلاء ... فخلع هو أيضاً ثيابه وتنبأ هو أيضاً أمام صموئيل وانتزع عارياً ذلك النهار كله وكل الليل».

---

(١) يُنظَر: The oracles of goeob, by Eric Burrows.

وجاء في كتاب صموئيل كذلك:

«... أنك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من الأكمة وأمامهم رباب ودف وناي وعود وهم يتنبأون، فيحل عليهم روح الرب فيتنبأ معهم وتتحول إلى رجل آخر».

وكانت النبوة صناعة وراثية يتلقاها الأبناء من الآباء كما جاء في سفر الملوك الثاني: «إذ قال بنو الأنبياء لليشع هو ذا الموضع الذي نحن مقيمون فيه أمامك قد ضاق علينا فلنذهب إلى الأردن».

وكانت لهم خدمة تلحق بالجيش في بعض المواقع كما جاء في سفر الأيام الأول حيث قيل إن داود ورؤساء الجيش أفرزوا للخدمة بين أساف وغيرهم من المتنبئين بالعيدان والرباب والصنوج.

وهؤلاء المئات من المحسوبين على النبوة لبثوا بين قبائل إسرائيل وقراً فادحاً لا يصبر القوم على تكاليفه المرهقة إلا لمنفعة ينتظرونها من زمرة المتنبئين الذين يثبت لهم صدقهم، وليست هذه المنفعة إلا الاعتماد حيناً بعد حين على بعض المتنبئين في الكشف عن الخبايا والإنذار بالكوارث المتوقعة، وأهم ما كان يهمهم من هذه الكوارث أن يحذروا غضب (يهوا) لأنهم جربوا أنه أقدر على الثقة من سائر الأرباب.

وحدث ما لا بدَّ أن يحدث في هذه الحالة من الإسفاف بالكشف الروحي تسخيراً له في المطالب اليومية على حسب الحاجة إليه في حينه، فبدلاً من أن يكون الكشف الروحي لمحة من لمحات الصفاء ترتفع فيها حجب الهوى والضلالة عن البصيرة فتدرك ما لا تدركه في عامة أوقاتها؛ أصبح هذا الكشف صناعة ملازمة لكل من يدعي النبوة بحق أو بغير حق، ووجب على النبي في عرفهم أن يكون مستعداً بكراماته ومعجزاته كلما أرادها أو أريدت منه، وروى القوم من أنباء هذا الاستعداد ما يشبه الاستعداد للمباراة بين فرق الرياضة من الطرفين المتقابلين، وقد ثبتت لهم غلبة أبناء (يهوا) على أنبياء البعل

على أثر مباراة من هذه المباريات بينهم في التنبؤ والإنذار بالأخطار.

جاء في كتاب الملوك الأول:

أن **إيزابل** امراة **أخاب** ملك إسرائيل قتلت مئات من أنبياء يهوا فلم ينج منهم غير خمسين خبأهم أحد الوزراء المخلصين للدين ثم ظهر النبي **إيليا** متحدياً للملك قائلاً كما جاء في الإصحاح الثامن عشر من الكتاب المذكور:

«... ولما رأى آخاب إيليا قال له آخاب: أأنت هو مكدر إسرائيل؟! فقال: لم أكدر إسرائيل بل أنت وبيت أبيك بترككم وصايا الرب وبسيرك وراء البعليم، فالآن أرسل وأجمع إلي كل إسرائيل إلى جبل الكرمل، وأنبياء البعل أربع المئة والخمسين، وأنبياء السوارى أربع المئة الذين يأكلون على مائدة إيزابل، فأرسل آخاب إلى جميع بني إسرائيل وجمع الأنبياء إلى جبل الكرمل فتقدَّم إيليا إلى جميع الشعب، وقال: حتى متى تعرجون بين الفرقتين، إن كان الرب هو الله فاتبعوه، وإن كان البعل فاتبعوه، فلم يجبه الشعب بكلمة، ثم قال إيليا للشعب: أنا بقيت نبياً للرب وحدي وأنبياء البعل أربعمائة وخمسون رجلاً، فليعطونا ثورين فيختاروا لأنفسهم ثوراً واحداً ويقطعوه ويضعوه على الحطب، ولكن لا يضعون ناراً، وأنا أقرب الثور الآخر وأجعله على الحطب ولكن لا أضع ناراً، ثم تدعون باسم آلهتكم وأنا أدعو باسم الرب، والإله الذي يجيب بنار فهو الله، فأجاب جميع الشعب وقالوا: الكلام حسن، فقال إيليا لأنبياء البعل: اختاروا لأنفسكم ثوراً واحداً وقرّبوا أولاً، لأنكم أنتم الأكثر، وادعوا باسم آلهتكم، ولكن لا تضعوا ناراً فأخذوا الثور الذي أعطي لهم وقرّبوه ودعوا باسم البعل من الصباح إلى الظهر قائلين: يا بعل أجبنا، فلم يكن صوت ولا مجيب، وكانوا يرقصون حول المذبح الذي عمل، وعند الظهر سَخِرَ بهم إيليا وقال: ادعوا بصوت عال، لأنه إله، لعله مستغرق أو في خلوة أو في سفر أو لعله نائم فينتبه، فصرخوا بصوتٍ عالٍ وتقطعوا حسب عادتهم بالسيوف والرماح، حتى سال منهم

الدم، ولما جاز الظهر وتنبّؤوا إلى حين إصعاد التقدمة ولم يكن صوت ولا مجيب ولا مصغٍ، قال إيليا: إلى جميع الشعب تقدَّموا إليّ، فتقدَّم جميع الشعب إليه فرمم مذبح الرب المتهدم، ثم أخذ إيليا اثني عشر حجراً بعدد أسباط بني يعقوب الذي كان كلام الرب إليه، قائلاً: إسرائيل يكون اسمك، وبنى الحجارة مذبحاً باسم الرب، وعمل قناة دول المذبح تسع كيلتين من البذر، ثم رتب الحطب وقطع الثور ووضعه على الحطب، وقال: املؤوا أربع جرات ماء، وصبوا على المحرقة وعلى الحطب، ثم قال: ثنوا، فثنوا، وقال: ثلّثوا، فثلّثوا، فجرى الماء دول المذبح وامتلأت القناة أيضاً ماء، وكان عند اصعاد التقدمة أن إيليا النبي تقدَّم وقال: أيها الرب، إلهَ إبراهيم وإسحاق وإسرائيل، ليعلم اليوم أنك أنت الله في إسرائيل وأني أنا عبدك وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور، استجبني يارب، استجبني ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله، وأنك أنت حولتَ قلوبهم رجوعاً فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التي في القناة.

فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا: الرب هوالله، الرب هو الله، فقال له إيليا: امسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل، فأمسكوهم فنزل بهم إيليا إلى نهر قيسون، وذبحهم هناك وقال إيليا لآخاب: اصعد كل واشرب لأنه حس دوي مطر، فصعد آخاب ليأكل وليشرب، وأما إيليا فصعد إلى رأس الكرمل وخر إلى الأرض، وجعل وجهه بين ركبتيه، وقال لغلامه اصعد تطلع نحو البحر فصعد وتطلع وقال ليس شيء، فقال: ارجع سبع مرات، وفي المرة السابعة قال: هو ذا غيمة صغيرة قدر كف إنسان صاعدة من البحر، فقال: اصعد، قل لآخاب: اشدد وانزل لئلا يمنعك المطر، وكان من هنا إلى هنا أن السماء اسودت من الغيم والريح، وكان مطرٌ عظيم، فركب آخاب ومضى إلى يزرعيل، وكانت يد الرب على إيليا فشد حقويه وركض أمام آخاب حتى تجيء إلى يزرعيل».

وقد صاحبت القوم هذه الفكرة عن النبوة الحاضرة عند الطلب منذ أوائل عهودهم إلى أواخر عهدهم بالأنبياء قبل ظهور السيد المسيح، فلم تكن النبوة عند القوم في هذه العهود كافة إلا صناعة مرادفة لصناعة التنجيم أو لصناعة الفراسة المنذرة بالكوارث المتوقعة، فهي إما استطلاع للخبايا أو صيحة فزع من نقمة يهوا الذي تعودوا أن يعاقبهم بالمصائب الحسية كلما انحرفوا عن سنته، وأشركوا بعبادته رباً آخر من أرباب الشعوب التي ينازعونها، وتنازعهم على المرعى والمقام.

وما يكون للقوم أن يفهموا من النبوة معنى غير معناها هذا، لأنهم قد تعلموا من أحبارهم وكتبة أسفارهم أن أنبياءهم قد حلوا في محل العرافين العائفين والسحرة والرقاة الذين ينقلون أقوال الآلهة في غير بني إسرائيل، فهؤلاء جميعاً لا يصدقون لأنهم ينقلون المعرفة من أرباب غير يهوا رب إسرائيل، وأما شعب إسرائيل فقد قيل لهم «... فيقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون، حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً: لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت، قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا، أُقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه، وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبي، وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي يتكلم به الرب مما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تخف منه (١٨)». سفر التثنية.

وهكذا وقر في أخلاد الشعب من أحباره وعلمائه إلى عامة جهلائه أن الكشف على الغيب مرادف لمعنى النبوة، وأنَّ وقوع الخبر هو امتحان الصدق الوحيد الذي يمتحن به

الأنبياء والصادقون فيه يتحدثون به عن الإله، وأن الفرق بين أنبيائه وبين السحرة والعرافين والرقاة في الأمم الأخرى، إنما هو فرق بين أناس يحسنون الكشف عن الغيب وأناس يخطئون في هذه الصناعة، لأنهم ينقلون أنباءهم عن آلهة كذبة لا يستحقون العبادة.

وإنه لمن المتفق عليه بين أتباع الديانات الكتابية أن بني إسرائيل لم يعرفوا النبوة على مثال أتم وأكمل من نبوة موسى الكليم، ومع هذا كان أرفع ما تصوروه من معنى وحي الله إليه عليه السلام أنه كان يخاطبه فماً إلى فم وعياناً بغير حجاب، وفي ذلك يقول كاتب الإصحاح الثاني عشر من سفر العدد أن الله «نزل في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة ودعا هارون ومريم فخرجا كلاهما فقال: اسمعا كلامي، إن كان منكم للرب فبالرؤيا أستعلم له وفي الحلم أكلمه، وأما عبدي موسى فليس هكذا، بل هو أمين في كل شيء، فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز».

وكان اعتقادهم أن موسى عليه السلام يسمع كلام الرب فماً إلى فم وعياناً بغير حجاب في كل قضية من قضايا الشعب يعرضونها عليه، حتى عَلّمه نبي مَدْيَن أن يكل القضاء إلى أناس من ذوي ثقته وخاصة قومه يلقنهم أحكام الشريعة ويوليهم أمر القضايا الصغيرة، مكتفياً بما يعضل عليهم من كبار القضايا، وفي ذلك يقول كاتب الإصحاح الثاني عشر من سفر الخروج:

«وقد حدث في الغد أن موسى جلس ليقضي للشعب فوقف الشعب عند موسى من الصباح إلى المساء، فلما رأى حمو موسى كل ما هو صانع للشعب قال: ما هذا الأمر الذي أنت صانع للشعب؟ ما بالك جالساً وحدك وجميع الشعب واقف عندكم من الصباح إلى المساء؟ فقال موسى لحميه إن الشعب يأتي إليَّ ليسأل الله: إذا كان لهم دعوى يأتون إليّ فأقضي بين الرجل وصاحبه أعرفهم فرائض الله وشرائعه، فقال حمو موسى له: ليس جيداً هذا الأمر الذي أنت صانع، إنك تكل أنت وهذا الشعب الذي معك جميعاً،

لأن الأمر أعظم منك لا تستطيع أن تصنعه وحدك، الآن اسمع لصوتي فأنصحك، فليكن الله معك، كن أنت للشعب أمام الله وقدم أنت الدعاوي إلى الله وعلمهم الفرائض والشرائع وعرفهم الطريق الذي يسلكونه والعمل الذي يعملونه، وأنت تنظر من جميع الشعب ذوي قدرة خائفين الله أمناء مبغضين الرشوة، وتقيمهم عليهم رؤساء ألوف ورؤساء مئات ورؤساء خماسين ورؤساء عشرات، فيقضون للشعب كل حين ويكون أن كل الدعاوي الكبيرة يجيئون بها إليك، وكل الدعاوى الصغيرة يقضون هم فيها، وخفف عن نفسك، فهم يحملون معك ...».

وبعد نحو ستة قرون من النبوة الموسوية انتهىٰ عهد الأنبياء في بني إسرائيل، ولم يتغير معنى النبوة عندهم في هذه الفترة الطويلة، بل انحدر إلى ما دون ذلك بكثير، لأن موسى الكليم كان يخاطب الغيب ليتلقى الشريعة، وينقل إلى الشعب تحذير الله بنصوص ألفاظه، وأما الأنبياء بعده، فقد تكاثروا بالمئات ليخاطبوا الغيب فيما دون ذل من الخبايا اليومية، أو ليتخذوا العلامات والألغاز نذيراً للشعب بالخسائر الحسية التي تصيبه من جراء الخروج على شريعة موسى.

ويتلخص تاريخ النبوة بين بني إسرائيل إذن في كلمات معدودات، أنهم قد استعاروا فكرة النبوة من جيرانهم العرب الذين ظهر فيهم ملكي صادق على عهد إبراهيم الخليل، وظهر فيهم بعد ذلك أيوب وبلعام وشعيب، ففهموا من النبوة معنى غير معنى الرؤية، والعرافة والسحر والتنجيم، وأنهم ما زالوا يتعلمون من جيرانهم إلى أن أتى موسى الكليم الذي تتلمذ على حميه نبي مدين قبل جهره بدعوته وبعد أن جهر بهذه الدعوة في مصر وخرج بقومه منها إلى أرض كنعان، ولكنهم أخذوها وسلموها فنقضوا منها ولم يزيدوها، وما كان لهم من حيلة في زيادتها لأنها ـ كما فهموها ـ غير قابلة للزيادة والارتقاء، ولا مناص من تدهورها مع الزمن وهي موقوفة على قوم دون سواهم لا

يشاركون الأقوام في هداية واحدة ولا في جامعة الإنسانية ترتفع بمقاييس الأخلاق والفضائل مع ارتفاع بني الإنسان.

كانت قبائل إسرائيل محصورة في نفسها، وكانت عبادتها محصورة في حدودها، وكانت قبلتها القصوى من العبادة أن تسلم في عزلتها مع إلهها الذي احتكرته واحتكرها، فلم تطلب من النبوة إلا ما تلتمسه من السلامة في تلك العزلة، صناعة موقوفة على استطلاع الغيب لتحذيرها من الضربات التي تواجهها ولا تخشاها من إله غير إلهها. انتهى[1].

وبعد هذا البحث القيم أثني ببحث آخر أبين فيه صفات الرسل عند أهل الكتاب، ومنه يعرف القارئ مدى ما ألصقته كتب العهدين بأنبياء الله من جرائم خلقية، وافتراءات على الله في التبليغ تقدح في العصمة وتهوي بهم إلى مكان سحيق.

فأهل الكتاب يدعون أن الأنبياء إنما يكونون معصومين في تبليغ الوحي فقط تقريراً كان أو تحريراً، وأما في غير التبليغ فليسوا بمعصومين لا قبل النبوة ولا بعدها.

ونصوص العهدين ـ لاسيما العهد القديم ـ قد ألصقت بأنبياء الله ارتكاب الفواحش والكبائر عمداً فضلاً عن الخطأ والنسيان، فنسبت إليهم الزنا بالمحارم والأجنبيات، وعبادة الأوثان وبناء المعابد لها.

ومن استقرأ هذه النصوص يجد أنه لا يخرج عندهم نبي من إبراهيم إلى يحيى عليهما السلام ولا يكون زانياً أو من أولاد الزنا أعاذنا الله من تلك العقائد الفاسدة في حق الأنبياء.

وقبل أن أذكر بعض ما ألصقوه بأنبيائهم زوراً وبهتاناً، أقول: إن ادعاءهم عصمة الأنبياء في التبليغ ادعاء باطل أيضاً.

ففي سفر الملوك الأول ص١٣:

«وكان نبي شيخ ساكناً في بيت إيل، فأتى بنوه وقصُّوا عليه كل العمل الذي عمله رجل الله ذلك اليوم في بيت إيل وقصوا على أبيهم الكلام الذي تكلم به إلى الملك (١٢) فقال لهم أبوهم: من أي طريق ذهب، وكان بنوه قد رأوا الطريق الذي سار فيه رجل الله الذي جاء من يهوذا (١٣) فقال لبنيه: شدوا لي على الحمار، فشدوا له على الحمار فركب عليه (١٤) وسار وراء رجل الله فوجده جالساً تحت البلوطة، فقال له: أأنت رجل الله الذي جاء من يهوذا؟ فقال: أنا هو (١٥) فقال له سر معي إلى البيت وكل خبزاً (١٦) فقال: لا أقدر أن أرجع معك ولا أدخل معك ولا آكل خبزاً، ولا أشرب معك ماءً في هذا الموضع (١٧) لأنه قيل لي بكلام الرب لا تأكل خبزاً ولا تشرب هناك ماءً، ولا ترجع سائراً في الطريق الذي ذهبت فيه (١٨) فقال له: أنا أيضاً نبي مثلك، وقد كلمني ملاك بكلام الرب قائلاً: ارجع به معك إلى بيتك فيأكل خبزاً ويشرب ماءً. كذب عليه (١٩) فرجع معه وأكل خبزاً في بيته وشرب ماء (٢٠) وبينما هما جالسان على المائدة كان كلام الرب إلى النبي الذي أرجعه (٢١) فصاح إلى رجل الله الذي جاء من يهوذا قائلاً: هكذا قال الرب، من أجل أنك خالفت قول الرب ولم تحفظ الوصية التي أوصاك بها الرب إلهك (٢٢) فرجعت وأكلت خبزاً وشربت ماءً في الموضع الذي قال لك لا تأكل فيه خبزاً ولا تشرب ماءً، لا تدخل جثـتُك قبر آبائك (٢٣) ثم بعد ما أكل خبزاً وبعد أن شرب شدَّ له على الحمار أي النبي الذي أرجعه (٢٤) وانطلق فصادفه أسد في الطريق وقتله وكانت جثته مطروحة في الطريق والحمار واقف بجانبها والأسد واقف بجانب الجثة (٢٥) وإذا بقوم يعبرون فرأوا الجثة مطروحة في الطريق والأسد واقف بجانب الجثة، فأتوا وأخبروا في المدينة التي كان النبي الشيخ ساكناً بها (٢٦) ولما رجع النبي الذي أرجعه عن الطريق قال: هو رجل الله الذي خالف قول الرب فدفعه الرب للأسد فافترسه وقتله حسب كلام الرب الذي كلمه به (٢٧) وكلم بنيه قائلاً: شدوا لي على الحمار فشدوا (٢٨) فذهب ووجد جثته مطروحة في

الطريق والحمار والأسد واقفين بجانب الجثة، ولم يأكل الأسد الجثة ولا افترس الحمار (٢٩) فرفع النبي جثة رجل الله ووضعها على الحمار ورجع به ودخل النبي الشيخ المدينة ليندبه ويدفنه (٣٠) فوضع جثته في قبره وناحوا عليه قائلين: آه يا أخي».

فأطلق في هذه العبارة على النبي الشيخ لفظ النبي في خمسة مواضع، وفي العدد (١٨) نقل عن هذا النبي الشيخ ادعاء الرسالة الحقة، وفي العدد (٢٠) ثبت تصديق رسالته الحقة أيضاً، وهذا النبي الشيخ الصادق النبوة افترى على الله وكذب في التبليغ وخدع رجل الله المسكين وألقاه في غضب الرب وأهلكه، فثبت عدم عصمتهم في التبليغ أيضاً.

وهاك بعض الشنائع التي ألصقوها بأنبياء الله كذباً وافتراءاً:

(١) قصة آدم عليه السلام:

عندهم مشهورة، وقد ذكرت في الإصحاح الثالث من سفر التكوين، وهم يعترفون أنه أذنب عمداً، ولم يعترف بذنبه لما طلبه الله، ولم تثبت توبته عندهم إلى آخر حياته. في الصفحة ٢٣ من طريق الأولياء: يا أسفي على أنه لم تثبت توبته وعلى أنه ما استغفر الله لذنبه مرة واحدة أيضاً. انتهىٰ.

(٢) في الإصحاح التاسع من سفر التكوين:

«(١٨) وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساماً وحاماً ويافث، وحام هو أبو كنعان (١٩) هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح، ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض (٢٠) وابتدأ نوح يكون فلاحاً غرس كرماً (٢١) وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه (٢٢) فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً (٢٣) فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء، وسترا عورة أبيهما، ووجههما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة

أبيهما (٢٤) فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير (٢٥) فقال: ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته».

ففيه تصريح بأن نوحاً شرب الخمر وسكر وصار عرياناً، والعجب أن المذنب بالنظر إلى عورة أبيه هو حام أبو كنعان، والذي عوقب باللعنة ابنه كنعان، وأخذ الابن بذنب الأب خلاف العدل.

قال حزقيال في (ص١٨: ٢٠) من كتابه «النفس التي تخطئ هي تموت»: «الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون».

ولو فرضنا جدلاً أن الابن يحمل اثم الأب فما وجه تخصيص كنعان دون سائر أبناء حام الآخرين وهم: كوش، ومصرايم، وفوط، كما في (ص١٠: ٦).

(٣) إن ساراي زوجة إبراهيم عليه السلام كانت أخته من أبيه:

كما يفهم من قوله عليه السلام في سفر التكوين (ص٢٠: ١٢): «وبالحقيقة أيضاً هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي، فصارت لي زوجة».

والنكاح بالأخت حرام مطلقاً في الشريعة الموسوية، ومساوٍ للزنا، والناكح ملعون، وقتل الزوجين واجب.

سفر اللاويين (ص١٨: ٩): «عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة في البيت أو المولودة خارجاً لا تكشف عورتها».

وفي تفسير **دوالي ورجرد مينت** في ذيل شرح هذه الآية: «مثل هذا النكاح مساوٍ للزنا». انتهىٰ.

وفي سفر اللاويين أيضاً (ص٢٠: ١٧): «وإذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورتها ورأت هي عورته فذلك عار، يقطعان أمام أعين بني شعبهما، قد كشف عورة أخته، يحمل ذنبه».

وفي سفر التثنية (ص٢٧: ٢٢): «ملعون من يضطجع مع أخته بنت أبيه أو بنت أمه، ويقول جميع الشعب آمين».

ويلزم من هذا أن يكون إبراهيم عليه السلام زانياً قبل النبوة وبعدها، ويكون أولادهم كلهم من ساراي أولاد زنا!

وفي الصفحة ٩٢، ٩٣ من طريق الأولياء: لا يمكن أن يكون إبراهيم غير مذنب في نكاح هاجر لأنه كان يعلم جيداً قول المسيح المكتوب في الإنجيل أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى، وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. انتهىٰ.

(٤) في الإصحاح ١٩ من سفر التكوين:

«(٣٠) وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه (٣١) وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة أهل الأرض (٣٢) هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه، فنحيى من أبينا نسلاً (٣٣) فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها (٣٤) وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلى فاضطجعي معه، فنحييَ من أبينا نسلاً (٣٥) فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها (٣٦) فحبلت ابنتا لوط من أبيهما (٣٧) فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم (٣٨)

والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمي، وهو أبو بني عمون إلى اليوم».

جاء في كتاب «إظهار الحق» تعليقاً على هذه القصة: «وفي الصفحة ١٢٨ من طريق الأولياء بعد نقل هذه الحال: هكذا حاله حري أن يبكىٰ عليه، ونحن بعد التأسف والخوف والخشية على أنفسنا نتعجب منه أهو الذي بقيَ نقيَّ الثوب عن جميع شرور سادوم، وكان قوياً في السلوك على صراط الله، وبعيداً عن جميع نجاسات تلك البلدة، وغلب عليه الفسق بعد ما خرج إلى البر؟! فأي شخص يكون مأموناً في بلد أو بر أو كهف؟!». انتهىٰ.

فلما بكى القسيسون له على حاله فلا حاجة لنا إلى الإطالة! وبكاؤهم يكفي! غير أني أقول:

إن موآب وبن عمي اللذين تولدا بالزنا ما قتلهما الله، وقُتِلَ الولد الذي تولد بزنا داود عليه السلام بامرأة أوريا ـ لعل الزنا بامرأة الغير أشد من الزنا بالبنات عندهم ـ بل هما كانا من المقبولين عند الله، أما موآب فلأن عوبير جد داود عليه السلام اسم أمه راعوث، كما هو مصرَّح به في الإصحاح الأول من إنجيل متى، وراعوث هذه كانت موآبية من أولاد موآب فهي من جدات داود وسليمان وعيسى عليهم السلام، وداود ابن الله البكر، وسليمان أيضاً ابن الله، وعيسى ابن الله الوحيد، بل هو الله على زعم المسيحيين!

وأما بَنْ عمي، فلأن رحيعام بن سليمان من أجداد عيسى عليه السلام كما هو مصرَّح به في الإصحاح الأول من إنجيل متى أيضاً، وأمه كانت عمونية من أولاد بَنْ عمي كما هو مصرَّح به في الإصحاح الرابع عشر من سفر الملوك الأول، فهي أيضاً من جدات ابن الله الوحيد، بل الله على زعمهم!

والآية التاسعة عشرة من الإصحاح الثاني من سفر التثنية هكذا: «فمتى قربت إلى تجاه بني عمُّون لا تعادهم ولا تهجموا عليهم، لأني لا أعطيك من أرض بني عمُّون

ميراثاً، لأني لبني لوط قد أعطيتها ميراثاً»، فأي شرف لموآب وبَن عمى ولدَي الزنا أزيد من أن بعض بنات الأول صارت جدة معظمة لأبناء الله بل الله على زعمهم، وبعض بنات الثاني صارت جدة لابن الله الوحيد بل الله على زعمهم، وأن الله منع بني إسرائيل الذين كانوا أبناء الله بنص التوراة عن توريث أرض أولاده!

لكن بقيت مسألة وهي أنه إذا وصل نسب عيسى عليه السلام باعتبار هاتين الجدتين المعظمتين إلى موآب وبن عمى صار موآبياً وعمونياً، وما كان للعمونيين والمؤآبيين أن يدخلوا جماعة الرب إلى الأبد كما في سفر التثنية (ص٢٣: ٣): «لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد»، فكيف دخل عيسى عليه السلام جماعة الرب؛ بل صار رئيسهم! بل ابن الله على زعمهم! وإن قيل إن اعتبار النسب بالآباء لا بالأمهات فلا يكون عيسى عليه السلام عمونياً ولا موآبياً. قلت: لو كان كذا يلزم أن لا يكون إسرائيلياً يهودياً داودياً سليمانياً أيضاً، إذ حصول هذه الأوصاف له أيضاً من جانب الأم لا الأب، فلا يكون مسيحاً موعوداً به، واعتبار هذه الأوصاف باعتبار الأم وعدم اعتبار كونه عمونياً وموآبياً من جهة الجدات ترجيحٌ بلا مرجح، وهذا وارد على داود وسليمان عليهما السلام أيضاً باعتبار راعوث. انتهىٰ. بتصرُّف.

أما القصة فهي في غنىً عن التعليق، فانظروا إلى ديانة عيسو الذي هو الولد الأكبر لإسحاق عليه السلام كيف باع البكورية التي كان بها استحقاق منصب النبوة والبركة بالخبزِ ومأكولٍ من العدس، لعل النبوة والبركة عنده ما كانا في رتبة هذا الخبز والإدام من العدس!

وكذا انظروا إلى محبة يعقوب عليه السلام وإلى جوده، فإنه ما أعطى للأخ الأكبر الجائع المتعب هذا المأكول إلا بالبيع، وما راعى المحبة الأخوية والإحسان بلا عوض!

(٥) في الإصحاح ٣٤ من سفر التكوين:

«(١) وخرجت دنية ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب لتنظر نبات الأرض (٢) فرآها شكيم بن حَمَو الحويّ رئيس الأرض، وأخذها واضطجع معها وأذلها (٣) وتعلقت نفسه بدنية ابنة يعقوب، وأحب الفتاة، ولاطف الفتاة (٤) فكلم شكيم حمور أباه قائلاً: خذ لي هذه الصبية زوجة... (٨) وتكلم حمور ... (١٣) فأجاب بنو يعقوب... (١٤) فقالوا لهما: لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر أنعطي أختنا لرجل أغلف؟! لأنه عارٌ لنا (١٥) غير أننا بهذا نواتيكم إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر... (٢٤) فسمع لحمور وشكيم ابنه جميع الخارجين من باب المدينة، واختتن كل ذكر، كل الخارجين من باب المدينة (٢٥) فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أن ابني يعقوب شمعون ولاد أخوَي دنية أخذا كل واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمنٍ وقتلا كل ذكر (٢٦) وقتلا حامور وشكيم ابنه بحد السيف، وأخذا دنية من بيت شكيم وخرجا (٢٧) ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة، لأنهم نجسوا أختهم (٢٨) غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذوه (٢٩) وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونساءهم وكل ما في البيوت».

فيفهم من هذه العبارة أن أبناء يعقوب فعلوا من الجرائم ما يندى له الجبين خزياً وعاراً، فقد قتلوا كل ذكر بالمدينة وسبوا النساء والصبيان ونهبوا جميع الأموال، فعلوا كل هذه الآثام الجسام ويعقوب لم يردعهم عنها، ولم يقتص منهم، ولم يرد النساء والصبيان والأموال المسلوبة.

ولو فرضنا جدلاً أن يعقوب لم يكن في وسعه أن يمنعهم ويرد هذه الأشياء ويقتص منهم أفلم يكن الأجدر به وهو نبي كريم أن لا يرافق هؤلاء الظلمة؟! على أن العقل لا يصدق أن رجلين في استطاعتهما مهما بلغا من القوة والجبروت أن يقتلا أهل المدينة جميعهم ولو كانوا في وجع الختان، ولكن هي الأكاذيب والخرافات تملأ بها

(٦) في سفر التكون ص ٣٥:

«(٢٢) وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع إسرائيل».

فرغم أن رأوبين ـ الولد الأكبر ليعقوب عليه السلام ـ زنى بزوجة أبيه، فإن يعقوب لم يقم عليه الحد ولا على هذه الزوجة، والظاهر أن حد الزنا في هذا الوقت كان إحراق الزاني والزانية بالنار كما يفهم من الآية ٢٤ من الإصحاح ٢٨ من سفر التكوين ودعا على هذا الابن في آخر حياته كما هو مصرَّح به في الإصحاح ٤٩ من هذا السفر.

(٧) في سفر التكوين ص ٣٨:

«(٦) وأخذ يهوذا زوجة لعير بكر اسمها ثامار (٧) وكان عير بكر يهوذا شريراً في عيني الرب فأماته الرب (٨) فقال يهوذا لأونان: ادخل على امرأة أخيك وتزوج بها وأقم نسلاً لأخيك (٩) فعلم أونان أن النسل لا يكون له، فكان إذ دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض لكيلا يعطي نسلاً لأخيه (١٠) فقبح في عيني الرب ما فعله فأماته أيضاً! فقال يهوذا لثامار كنته: اقعدي أرملةً في بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابني، لأنه قال لعله يموت هو أيضاً كأخويه فمضت ثامار وقعدت في بيت أبيها (١٢) ولما طال الزمان ماتت ابنة شوع امرأة يهوذا، ثم تعزَّى يهوذا فصعد إلى جزاز غنمه إلى تمنه هو جدة صاحبه العدُلامي (١٣) فأخبرت ثامار، وقيل لها هو ذا حموك صاعد إلى تمنة ليجز غنمه (١٤) فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت وجلست في مدخل عنايم التي على طريق تمنة ... (١٥) فنظرها يهوذا وحسبها زانية لأنها كانت قد غطت وجهها (١٦) فمال إليها على الطريق وقال: هاتي أدخل عليك، لأنه لم يعلم أنها كنته، فقالت: ماذا تعطيني لكي تدخل عليّ (١٧) فقال إني أرسل جدي معزى من الغنم، فقالت: هل تعطيني رهناً

حتى ترسله (١٨) فقال ما الرهن الذي أعطيك، فقالت : خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك، فأعطاها ودخل عليها فحبلت منه (١٩) ثم قامت ومضت، وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترملها ... (٢٤) ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا وقيل له قد زنت ثامار كنتك، وها هي حبلى أيضاً من الزنا، فقال يهوذا: أخرجوها فتحرق (٢٥) أما هي فلما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلةً: من الرجل الذي هذه له أنا حبلى، وقالت: حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه (٢٦) فتحققها يهوذا وقال: هي أبرُّ مني لأني لم أعطها لشيلة ابنى فلم يعد يعرفها أيضاً (٢٧) وفي وقت ولادتها إذا في بطنها توأمان (٢٨) وكان في ولادتها أن أحدهما أخرج يداً فأخذت القابلة وربطت على يده قرمزاً قائلة هذا خرج أولاً (٢٩) ولكن حين ردَّ يده إذا أخوه قد خرج، فقالت: لماذا اقتحمت عليك اقتحام، فدعيَ اسمه فارص (٣٠) وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده القرمز فدعى اسمه زارح».

ههنا أمور:

الأول: إن الرب قتل عير لكونه شريراً، وشروره لم تبيَّن، أكانت هذه الشرور أشد من شرور عمه الكبير الذي زنى بزوجة أبيه؟ ومن شرور عميه الآخرين شمعون ولاوي اللذَّين قتلا ذكور أهل البلدة كلهم؟ ومن شرور أبيه وجميع أعمامه الذين نهبوا أموال تلك البلدة وسبوا نساءها وأطفالها؟ ومن شرور أبيه الذي زنى بزوجته بعد موته؟ أهؤلاء بما ارتكبوه من الفواحش والخطايا كانوا مستحقين للرأفة وعدم القتل، أما عير فكان مستحقاً للقتل فقتله الرب؟!

الثاني: العجب أن الرب قتل أونان على خطأ عزل المني وما قتل أعمامه وأباه على الخطايا المذكورة، أهذا العزل أشد ذنباً من هذه الخطايا؟!

الثالث: إن يعقوب لم يقم الحد على ابنه يهوذا، ولا على هذه المرأة الفاجرة، بل لم يثبت من هذا الإصحاح ولا من إصحاح آخر أنه حتى حزن من هذا الفعل الشنيع الذي

ارتكبه يهوذا، والإصحاح ٤٩ من سفر التكوين شاهدُ صدقٍ على عدم تكدره إذ ذم رأوبين وشمعون ولاوي على ما اقترفوه من الخطأ ولكنه لم يذم يهوذا ـ هذا الولد العزيز ـ على زناه بزوجة ابنه، بل مدحه مدحاً بليغاً، ودعا له دعاءً كاملاً ورجحه على إخوته.

الرابع: إن ثامار شهد في حقها يهوذا صهرها بشدة البر، فسبحان الله، نعم البار ونعمت البارة الفائقة في البر من البار المذكور! وكيف لا تكون بارة شديدة البر وهي لم تكشف عورتها إلا لأبي زوجها! وما زنت إلا بحميها! وأنجبت منه بهذا الزنا الواحد ابنين كاملين!

الخامس: إن داود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم من أولاد فارص ـ ابن الزنا ـ كما هو مصرَّح به في الإصحاح الأول من إنجيل متى!

السادس: أن الله ما قتل فارص وزارح مع كونهما ولدي زنا، بل أبقاهما كابني لوط الَّلذَين كانا ولدي الزنا، وما قتلهما كما قتل ولد داود عليه السلام الذي تولد بزناه بامرأة أوريا، ولعل الزنا بامرأة الغير أشد من الزنا بزوجة الابن!

(٨) في الإصحاح ٣٢ من سفر الخروج:

«(١) ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون، وقالو له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه (٢) فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها (٣) فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون (٤) فأخذ ذلك من أيديهم وصوَّره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر (٥) فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه، ونادى هارون وقال: غداً عيدٌ للرب (٦) فبكروا في الغد واصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامةٍ، وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب».

فظهر من هذه العبارة أن هارون صنع عجلاً وبنى مذبحاً أمامه ونادى وقال: غداً عيدٌ للرب، فعَبَدَ العجلَ، وأمر بني إسرائيل بعبادته، فقربوا محرقات وذبائح، ولا شك أن هارون باعتراف اليهود والنصاري رسول، ففي (المزمور ١٠٥): «(٢٦) أرسل موسى عبده وهارون الذي اختاره»، وفي (المزمور ١٠٦): «(١٦) وحسدوا موسى في المحل وهارون قدوس الرب».

(٩) في الإصحاح ١٦ من سفر القضاة:

«إن شمشون الرسول زنى بامرأةٍ زانيةٍ كانت في غزة، ثم أحب بعد ذلك امرأة في وادي سورق اسمها دليلة، وكان يدخل إليها، فصعد إليها أقطاب الفلسطينيين وقالوا لها: تملقيه، وانظري بماذا قوته العظيمة، وبماذا نتمكن منه لكي نوثقه لإذلاله فنعطيك كل واحد ألفاً ومائة شاقل فضة.

فسألته فكذب ثلاث مرات، فقالت له هذه الفاجرة: كيف تقول أحبك وقلبك ليس معي، هو ذا ثلاث مرات قد ختلتني ولم تخبرني بماذا قوتك العظيمة، ولما كانت تضايقه بكلامها كل يوم وألحت عليه أطلعها على كل شيء وقال: إن حلقوا شعر رأسي زالت عني قوتي، وصرت كواحد من الناس، فلما رأت أنه قد أظهر ما في قلبه دعت أقطاب الفلسطينيين وأنامته على ركبتيها ودعت رجلاً وحلقت سبع خصل رأسه فزالت عنه قوته وأسروه، وقلعوا عينيه وأوثقوه بسلاسل نحاس وحبسوه في السجن، ثم استشهد هناك».

وشمشون هذا نبي، ويدل على نبوته العدد ٥، ٢٥ من الإصحاح ١٣، والعدد ٦، ١٩ من الإصحاح ١٤، والعدد ١٤، ١٨، ١٩ من الإصحاح ١٥ من السفر المذكور، والعدد ٣٢ من الإصحاح ١١ من الرسالة العبرانية.

(١٠) في الإصحاح ١١ من سفر صموئيل الثاني:

«(١) وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره، وتمشى على سطح بيت الملك فرأىٰ من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً، فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحدٌ أليست هذه بتشبع بن اليعام امرأة أوريا الحثي (٤) فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه، فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها (٥) وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود وقالت: إني حبلى (٦) فأرسل داود إلى يوآب يقول أرسل إليّ أوريا الحثي، فأرسل يوآب أوريا إلى داود (٧) فأتىٰ أوريا إليه فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب (٨) وقال داود لأوريا: انزل إلى بيتك واغسل رجليك، فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصةٌ من عند الملك (٩) ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته (١٠) فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا إلى بيته، فقال داود لأوريا: أما جئت من السفر فلماذا لم تنزل إلى بيتك (١١) فقال أوريا لداود: إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب واضطجع مع امرأتي، وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر (١٢) فقال داود لأوريا: أَقِم هنا اليوم أيضاً وغداً أطلقك، فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده (١٣) ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره، وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده وإلى بيته لم ينزل (١٤) وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوآب وأرسله بيد أوريا (١٥) وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيُضرب ويموت (١٦) وكان في محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه (١٧) فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثي أيضاً (١٨) فأرسل يوآب وأخبر داود بجميع أمور الحرب ...

(٢٦) فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها (٢٧) ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً... وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب».

وفي سفر صموئيل الثاني ص ١٢: حكم الرب لداود عليه السلام على لسان ناثان النبي هكذا: «(٩) ولماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه، قد قتلت أوريا الحثى بالسيف، وأخذت امرأته لك امرأة، وإياهُ قتلتَ بسيف بني عمون... (١٤) غير أنه من أجل أنك قد جعلت بهذا الأمر أعداء الرب يشتمون فالابن المولود لك يموت».

فصدر عن داود ٨ خطيئات:

١ـ أنه نظر بشهوة إلى امرأة أجنبية، وقد قال عيسى عليه السلام في إنجيل متى (ص٥: ٢٨): « ... إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه».

٢ـ أنه ما اكتفى بهذا النظر؛ بل طلبها وزنى بها، وحرمة الزنا قطعية، ومن الأحكام العشرة المشهورة كما قال الله في التوراة: «لا تزن».

٣ـ إن هذا الزنا كان بزوجة الجار، وهذا أشد أنواع الزنا وذنب آخر كما هو مصرَّح به في الأحكام العشرة المشهورة.

٤ـ لم يقم حد الزنا لا على نفسه ولا على هذه المرأة، وفي (سفر الأخبار ص٢٠): «(١٠) من زنا بامرأة صاحبه أو زنى بإمرأة لها رجل فليقتل الزاني والزانية». وفي (سفر التثنية ص٢٢): «(٢٢) إن اضطجع رجل مع امرأة غيره فكلاهما يموتان الزاني والزانية، وارفع الشر من إسرائيل».

٥ـ إن داود طلب أوريا من العسكر وأمره أن يذهب إلى بيته وجل غرض داود أن يلقي على عيبه ستراً، ويكون هذا الحبَل منسوباً إلى أوريا، ولما لم يذهب لأجل ديانة

وحلف أنه لا يفعل هذا الأمر أقامه داود عليه السلام اليوم الثاني وأسكره ليذهب إلى بيته في هذه الحال، لكنه لم يذهب ولم يلتفت إلى زوجته الجميلة التي كانت جائزةً له شرعاً وعقلاً، فشتان بين ديانة أوريا الذي ترك الأمر الجائز وبين داود النبي الذي ارتكب الفواحش كما يدّعون!

٦ـ إنه لمّا لم تحصل ثمرة مقصودة من إسكار أوريا؛ عزم داود على قتله فقتله من سيف بني عمون. وفي (سفر الخروج ص٢٣) : «(٧) لا تقتل البار الزكي».

٧ـ أنه لم يتنبه لخطئه ولم يتب إلا بعد أن عاتبه ناثان النبي.

٨ـ إنه قد وصل إليه حكم الله بأن هذا الولد الذي تولد بالزنا يموت، ومع هذا فقد سأل الله أن يعافيه، وصام داود من أجل الصبي صوماً ودخل وبات مضطجعاً على الأرض.

(١١) في سفر صموئيل الثاني ص ١٦:

«(٢٢) فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح، ودخل أبشالوم إلى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل».

ثم حارب أبشالوم أباه داود حتى قُتل في تلك المحاربة عشرون ألفاً من بني إسرائيل كما جاء في (ص١٨ : ٧).

فابن داود هذا فاق رأوبين الولد الأكبر ليعقوب عليه السلام بثلاثة أوجه:

الأول: إنه زنى بجميع سراري أبيه بخلاف رأوبين فإنه زنى بسرية واحدة.

الثاني: إنه زنى أمام جميع إسرائيل علانية بخلاف رأوبين فإنه زنى خفية.

الثالث: إنه حارب أباه حتى قُتل عشرون ألفاً من بني إسرائيل.

ومع هذا كله فإن داود عليه السلام أوصى يوآب وأبيشاي وأتاي قائلاً: ترفقوا لي

بالفتى أبشالوم كما جاء في (ص١٨ : ٥).

ولكن يوآب خالف أمر داود عليه السلام وقتل أبشالوم.

ولما سمع داود عليه السلام النبأ انزعج وكان يبكي ويقول هكذا وهو يتمشى: «يا ابني يا ابني أبشالوم، يا ابني يا ابني أبشالوم، ياليتني مت عوضاً عنك، يا أبشالوم ابني يا ابني» كما جاء في (ص١٨ : ٣٣).

ولعل مما يثير العجب والدهشة أن أبشالوم حينما زنى بسراري أبيه أمام جميع إسرائيل لم يكن ذلك الفعل الخبيث إلا بعدل الإله: ذلك أن داود لما زنى بإمرأة أوريا قال له الرب على لسان ناثان النبي في ص١٢ : «(١١) هكذا قال الرب: هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك، وأعطيهنَّ لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس (١٢) لأنك أنت فعلت بالسر، وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس».

(١٢) في سفر الملوك الأول ص ١١ :

«(١) وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمُّونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات (٢) من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة (٣) وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاث مائة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه (٤) وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه (٥) فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين (٦) وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه (٧) حينئذٍ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ولمولك رجس بني عمون (٨) وهكذا فعل لجميع

نسائه الغريبات اللواتي كنَّ يرقدنَ ويذبحن لآلهتهن (٩) فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين (١٠) وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى، فلم يحفظ ما أوصى به الرب (١١) فقال الرب لسليمان: من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك».

ويفهم من ذلك أن سليمان قد ارتكب خمس خطيئات:

١ـ أعظمها أنه ارتد في آخر عمره، وجزاء المرتد في الشريعة الموسوية الرجم ولو كان نبياً ذا معجزات، كما في سفر التثنية ص١٣، ١٧.

٢ـ أنه بنى المعابد العالية للأصنام في الجبل قدام أورشليم، وهذه المعابد والأصنام ظلت باقية إلى أن حطمها يوشيا بن آمون ملك يهوذا بعد موت سليمان بأزيد من ثلثمائة وثلاثين سنة، كما جاء في سفر الملوك الثاني ص٢٣.

٣ـ أنه تزوج نساءً من الشعوب التي كان الله منع الالتصاق بهم.

في ص٧ من سفر التثنية (٣): «ولا تصاهرهم، بنتك لا تعط لابنه، وبنتهُ لا تأخذ لابنك (٤) لأنه يرد ابنك من ورائي فيعبد آلهة أخرى فيحق غضب الرب عليكم ويهلككم سريعاً».

٤ـ تزوج ألف امرأة، وقد كانت كثرة الأزواج محرَّمة على من يكون ملك بني إسرائيل كما في سفر التثنية (ص١٧: ١٧): «ولا يكثر له نساءً لئلا يزيغ قلبه، وفضة وذهباً لا يكثر له كثيراً».

٥ـ أن نساءه كن يوقدن ويذبحن للأوثان.

وفي سفر الخروج (ص٢٢: ٢٠): «من ذبح لآلهة غير الرب وحده يهلك»، فكان قتلهن واجباً، وأيضاً أنهن أغوين قلبه فكان رجمهن واجباً كما في (سفر التثنية ص١٣):

«(٦) وإذا أغواك سرّاً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلاً نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك (٧) من آلهة الشعوب الذين حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض إلى أقصائها (٨) فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره (٩) بل قتلاً تقتله».

فالعجب أن داود وسليمان لم يقيما حدود التوراة على أنفسهما ولا على أهل بيتهما! ومن يدري، فلعل هذه الحدود فرضها الله لتقام على عامة الشعب فقط، أما خاصته فلا يصح أن تقام عليهم الحدود، وأي عبث يكون في الشريعة بعد هذا العبث!

(١٣) يهوذا الأسخريوطي:

كان أحد الحواريين وكان مستفيضاً بروح القدس وممتلئاً به، صاحب كرامات، كما هو مصرَّح به في الإصحاح العاشر من إنجيل متى، وهذا النبي باع دينه بدنياه وأسلم عيسى عليه السلام إلى اليهود نظير ثلاثين درهماً ثم خنق نفسه ومات كما هو مصرَّح به في الإصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى، وشهد يوحنا في حقه في الإصحاح الثاني عشر من إنجيله أنه كان سارقاً وكان الصندوق عنده وكان يحمل ما يُلقى فيه.

أمثل هذا السارق البائع دينه بدنياه يكون نبياً؟!

(١٤) الحواريون:

الذين هم في زعم النصارى أفضل من موسى وسائر أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام في الليلة التي أخذ اليهود عيسى عليه السلام، وتركوه في أيدي الأعداء، وهذا ذنب عظيم.

وإن قيل إن هذا الأمر صدر عنهم بجبلتهم، والجبن أمر طبيعي، أقول: لو سلم هذا فلا عذر لهم في شيء آخر كان أسهل الأشياء، وهو أن عيسى عليه السلام كان في غاية

الاضطراب في هذه الليلة وقال لهم: إن نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا ههنا واسهروا معي، ثم تقدَّم قليلاً للصلاة ثم جاء إليهم فوجدهم نياماً، فقال لبطرس: أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعةً واحدةً؟! اسهروا وصلوا، فمضى مرةً ثانيةً للصلاة، ثم جاء فوجدهم نياماً، فتركهم ومضى، ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم: ناموا واستريحوا، كما هو مصرَّح به في الإصحاح السادس والعشرين من إنجيل متى.

فلو كان عندهم أدنى محبة لمخلصهم بل لابن الإله يسوع المسيح لما فعلوا هذا الأمر، ألا ترى أن العصاة من أهل الدنيا إذا كان لهم قريب من أقاربهم في غاية الاضطراب أو المرض الشديد في ليلة فإنهم لا ينامون في تلك الليلة، ولو كانوا أفسق الناس!

(١٥) بطرس الحواري:

الذي هو رئيس الحواريين وخليفة عيسى عليه السلام على ادعاء الكاثوليك وإن كان متساوى الأقدام في الأمر المتقدَّم مع الحواريين الباقين، لكنه حصل له الفضل بأن اليهود لما أخذوا عيسى عليه السلام تبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة، فجلس خارج الدار فجاءت جارية قائلة: وأنت كنت مع يسوع الجليلي؟ فأنكر قدام الجميع، ثم رأته أخرى وقالت للذين هناك: هذا كان مع يسوع الناصري، فأنكر أيضاً بقسم أني لست أعرف هذا الرجل، وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس: حقاً أنت أيضاً منهم، فابتدأ حينئذٍ يلعن ويحلف أني لا أعرف هذا الرجل، وللوقت صاح الديك، فتذكّر بطرس كلام يسوع الذي قال له: إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات، كما هومصرَّح به في الإصحاح السادس والعشرين من إنجيل متى.

وقد قال المسيح عليه السلام له: اذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله، لكن بما للناس، كما هو مصرَّح به في الإصحاح السادس عشر من إنجيل متى،

وكَتَبَ مقدَّسهم بولس في الإصحاح الثاني من رسالته إلى أهل غلاطية هكذا:

«(١١) ولكن لما أتىٰ بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً (١٢) لأنه قبلما أتى قومٌ من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم، ولكن لما أتوا كان يؤخر ويعزز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان (١٣) وراءى معه باقي اليهود أيضاً، حتى إن برنابا أيضاً انقاد إلى ريائهم ذ لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجميع: إن كنت وأنت يهودي تعيش أممياً لا يهودياً، فلماذا تلزم الأمم أن يهودوا؟!».

وكان بطرس يتقدَّم على الحواريين في القول لكنه في بعض الأوقات لا يدري ما يقول، كما هو مصرَّح به في الآية ٣٣ من الإصحاح التاسع من إنجيل لوقا.

وفي الرسالة الثانية من كتاب الثلاث عشر رسالةً، المطبوع سنة ١٨٤٩ في بيروت في الصفحة ٦٠: «إن أحد الآباء يقول إنه كان به شديداً داء التجبر والمخالفة»، يوحنا فم الذهب، مقالة ٨٢، ٨٣ في متى.

ثم في الصفحة ٦١: «يقول فم الذهب إنه كان غير ثابت لأنه كان يؤمن أحياناً ويشك أحياناً، وتارة يعترف أنّ المسيح غير مائت، وتارة يخاف أن يموت، وكان المسيح يقول له مرة: طوبى لك، وأخرى يقول له: يا شيطان». انتهىٰ بلفظه.

فإذا كان هذا الحواري عند المسيحيين أفضل من موسى وسائر أنبياء بني إسرائيل وحاله كما علمت فماذا يعتقد في حق المفضولين!

(١٦) كان رئيس الكهنة قيافا نبياً بشهادة يوحنا:

ففي الإصحاح الحادي عشر من إنجيل يوحنا قوله: «(٤٩) فقال لهم واحد منهم وهو قيّافٌ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة أنتم لستم تعرفون شيئاً (٥٠) ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها (٥١) ولم يقل هذا من

نفسه بل إذ كان رئيساً للكهنة، في تلك السنة تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة (٥٢) وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد».

فقوله «تنبَّأَ» يدل على نبوته، وهذا النبي أفتى بقتل عيسى عليه السلام وكفره وإهانته، فلو كانت هذه الأمور بالنبوة والإلهام فعيسى عليه السلام واجب الرد، والعياذ بالله، وإن كانت بإغواء الشيطان فأي ذنب أكبر من هذا؟!

* * *

قيام الشريعة اليهودية على التفرقة العنصرية وعدم وحدتها، واضطرابها

يتمثل ذلك في أنها تجعل اليهود الشعب المختار الذي اصطفاه إلههم «يهوا»، فهو يستأثر بشعب إسرائيل لنفسه بين سائر الشعوب، ويستأثر شعب إسرائيل به لأنفسهم بين سائر الآلهة!

ففي سفر التثنية (ص٧: ع ٦ – ٨): يقول الرب ـ في زعمهم ـ مخاطباً شعب بني إسرائيل:

«(٦) لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض (٧) ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب (٨) بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم أخركم الرب بيد شديدة وفاكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر».

وكان إذا غضب منهم لالتفاتهم إلى غيره قال لهم ـ كما جاء في سفر أشعيا الثاني:

«بمن تشبهونني وتسوونني وتمثلونني لنتشابه؟!».

وكان النبي أرميا يقول لهم بلسان الرب إلههم: «إن آباءكم قد تركوني وذهبوا وراء آلهة أخرى وعبدوها وسجدوا لها، وإياي تركوا وشريعتي لم يحفظوا ...» ثم يقول الرب:

«... وأعطيتهم قلباً ليعرفوا أني أنا الرب فيكونون لي شعباً، وأنا أكون لهم إلهاً».

وجمد العبريون على عقيدتهم الإلهية، فظل «يهوا» إلهاً عبرياً يستأثر به أبناء يعقوب ابن إسحاق.

ومن أمثلة التفرقة العنصرية أن الإسرائيليين محرم عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً، وأن يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، على حين أنه مباح لهم، بل واجب عليهم غزو الشعوب الأخرى، وخاصة شعب كنعان، وواجب عليهم بعد انتصارهم على بلد أن يضربوا جميع ذكوره بحد السيف، ويسترقوا جميع نسائه وأطفاله، ويستولوا على جميع ما فيه من مال وعقار ومتاع غنيمة لهم.

ففي الإصحاح العشرين من سفر التثنية:«(١٠) حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح (١١) فإن أجابتك إلى الصلح فتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون كل للتسخير ويستعبد لك (١٢) وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها (١٣) وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف (١٤) وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطى الرب إلهك (١٥) هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جدّاً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا (١٦) وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما (١٧) بل تحرمها تحريماً الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيي كما أمرك الرب إلهك (١٨) لكي لا يعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التي عملوا لآلهتهم فتخطئوا إلى الرب إلهكم».

ومن ذلك أن الإسرائيلي إذا باع نفسه بيعاً اختيارياً لأخيه الإسرائيلي في حالة عوزه وحاجته إلى المال، فإن رقه يكون موقوتاً بأجل يرجع بعده إلى حريته، على حين أن الرق المضروب على غير الإسرائيلي يظل أبد الآبدين.

ففي سفر الخروج (ص٢١: ع٢): « إذا اشتريت عبداً عبرانياً فست سنين يخدم، وفي السابعة يخرج حراً مجاناً».

وفي سفر التثنية (ص١٥: ع١٢- ١٤): « (١٢) إذا بيع لك أخوك العبراني أو أختك العبرانية وخدمك ست سنين ففي السنة السابعة تطلقه حراً من عندك (١٣) وحين تطلقه حراً من عندك لا تطلقه فارغاً (١٤) تزوده من غنمك ومن بيدرك ومن معصرتك كما باركك الرب إلهك تعطيه».

ونفس السفر ونفس الإصحاح (ع٤٤ ـ ٤٦): «وأما عبدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم، منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم في أرضكم فيكونون ملكاً لكم (٤٦) وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك تستعبدونهم إلى الدهر».

ومن ذلك أيضاً: «أنه محرم على الإسرائيلي أن يقرض أخاه بربا، أما الأجنبي فيجوز أن يقرضه بربا».

ففي سفر التثنية (ص٢٣: ع١٩ـ٢٠): «لا تقرض أخاك بربا، ربا فضة أو ربا طعام، أو ربا شيء ما مما يقرض بربا (٢٠) للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها».

كما قامت على عدم توخي العدل، فهي قد تأخذ البريء بذنب المذنب:

ففي سفر التثنية (ص٥: ٩): «لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء وفي الجيل الثالث والرابع من الذين يبغضونني».

ومن ذلك أن شعب كنعان قد كتب عليه في الأزل أن يكون رقيقاً لبني إسرائيل،

وأنه لا ينبغي لأن يكون لأفراد هذا الشعب وظيفة ما في الحياة غير هذه الوظيفة، فإن تمردوا عليها أو طمحوا إلى الحرية وجب على بني إسرائيل أن يردوهم إليها بحد السيف.

وتقرر أسفارهم أن هذا الوضع قد فرض عليهم لدعوة دعاها نوح على كنعان ونسله، وذلك أن نوحاً حسب ما يزعمه سفر التكوين (ص٩ : ٢٠ ـ ٢٧): «ابتدأ يكون فلاحاً وغرس كرماً (٢١) وشرب الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه (٢٢) فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً (٢٣) فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما، ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما (٢٤) فلما استيقظ نوح من خمره علِم ما فعل به ابنه الصغير (٢٥) فقال ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لأخويه (٢٦) وقال مبارك الرب إله سام، وليكن كنعان عبداً لهم (٢٧) ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان عبداً لهم».

فكيف يُعاقَب كنعان بن حام ونسله بالرق على معصية لم يرتكبوها، في حين أن الذي أبصر عورة نوح حام أبو كنعان؟!

كما أن أحكام أسفارها تتضارب بعضها مع بعض، مثال ذلك ما جاء في سفر التثنية (ص٥: ع٩): «... لأني أنا الرب إلٰهك إله غيور افتقد ذنوب الآباء في الأبناء وفي الجيل الثالث والرابع».

وفي سفر حزقيال (ص١٨: ع٢٠): «النفس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون».

وقد أفرد رحمة الله الهندي في كتابه القيم «إظهار الحق» فصلاً مستقلاً في بيان ما في أسفار الكتاب المقدس من اختلافات وأغلاط (١: ٩٠ـ ١٥٨)، وآخر في إثبات ما فيها من تحريف (١: ١٥٨ـ٢٤٦)، مما يدل دلالة قاطعة على أنها لم تكتب بالإلهام كما يدعون.

الأناجيل الأربعة المعتمدة

(١) إنجيل متىٰ:

مؤلفه متىٰ من الاسم العبري متتيا الذي معناه: عطية يهوه، وهو أحد الاثنى عشر، الذين يسميهم المسيحيون رسلاً.

وكان قبل اتصاله بالمسيح من جباة الضرائب، وكانوا يسمَّون في ذلك العهد: عشّارين، وقد كان جابياً للرومان في كفر ناحوم من أعمال الجليل بفلسطين.

مات سنة ٧٠ ببلاد الحبشة، إثر ضرب مبرح، أنزله به أحد أعوان ملك الحبشة.

وفي رواية أخرى: أنه طعن برمح في سنة ٦٢ بالحبشة بعد أن قضى بها نحو ثلاث وعشرين سنة، داعياً للمسيحية، مبشراً بها. فموطن دعايته كما يروي مؤرخو المسيحية هي الحبشة.

واتفق جمهورهم على أنه كتب إنجيله بالعبرية، لأنه كتبه لليهود، يبشر بالمسيحية بينهم، وليقرأه مؤمنوهم بها، ولكن هذا الأصل العبري لم يصل إلينا، وإنما وصلت إلينا ترجمته إلى اللغة اليونانية التي تمت عقب تأليفه مباشرة.

ومترجمه من العبرانية إلى اليونانية غير معروف عن طريق يقيني، ويقال إن متى نفسه هو الذي قام بترجمته، ويروي ابن البطريق وكثيرٌ من مؤرخي العرب أن مترجمه هو يوحنا مؤلف الإنجيل الرابع، ولا يعرف لهذا الرأي سند يعتد به.

وقد كتب متى ـ بموجب اعتقاد جمهور المسيحيين ـ إنجيله قبل مرقس ولوقا و«يوحنا»، فهو أقدم الأناجيل المعتمدة عندهم، إذ يرجع تاريخ تأليفه إلى حوالي سنة ٦٠ بعد الميلاد، على أرجح الأقوال.

يقول الدكتور **بوست** في «قاموس الكتاب المقدس»: «ولا بد أن يكون هذا الإنجيل قد كتب قبل خراب أورشليم، ويظن البعض أن إنجيلنا الحالي كتب ما بين سنة ٦٠ وسنة ٦٥، والحق أن باب الاختلاف في شأن التاريخ لا يمكن سده، ولا يمكن ترجيح رواية على رواية، ولا جعل تاريخ أولى من تاريخ بالاتباع. ولذلك يقول **هورن**: «ألف الإنجيل الأول سنة ٣٧، أو سنة ٣٨، أو سنة ٤١، أو سنة ٤٣، أو سنة ٤٨، أو سنة٦١، أو سنة ٦٢، أو سنة ٦٣، أو سنة ٦٤ من الميلاد»، ونقول نحن: ويجوز غير ذلك. والجمهور على أنه كتب بغير اليونانية، ولكن لم يُعرف غيرها، ولم يَعرِف جمهرة المؤرخين من يكون المترجم، وفي أي عصر تُرجم، وقد علمت أن ابن البطريق يذكر أن يوحنا هو الذي ترجمه إلى اليونانية، ولكن لا نجد أحداً من المؤرخين أيده، بل إن الكثيرين منهم يقولون: «إنه لم يُعرَف المترجم». انتهىٰ.

(٢) إنجيل مرقس:

هو الثاني في ترتيب الأناجيل الأربعة، مع أن هذا لا يعني بالضرورة أنه كتب بعد إنجيل متى، وهو أقصر الأناجيل الأربعة، ومؤلفه هو القديس مرقس أحد التلاميذ السبعين الذين نزل عليهم روح القدس في اعتقادهم، وألهموا بالتبشير بالمسيحية كما ألهموا مبادئها.

أصله من اليهود، وكانت أسرته بأورشليم في وقت ظهور السيد المسيح، وهو من أوائل الذين أجابوا دعوته.

يقول صاحب كتاب «تاريخ الأمة القبطية»: «وقد أجمعت تقاليد الطوائف

المسيحية على أن الرب يسوع كان يتردد على بيته، وأنه في هذا البيت أكل الفصح مع تلاميذه، وفي إحدى غرفه حل الروح القدس على التلاميذ».

وجاء في سفر الأعمال: «إن الرسل بعد صعود السيد المسيح كانوا يجتمعون في بيته».

ولقد لازم مرقس خاله برنابا ـ وهو من الرسل ـ وبولس الرسول في رحلتهما إلى أنطاكية وتبشيرهما بالمسيحية فيها، ثم تركهما بعد ذلك، وعاد إلى أورشليم، ثم التقى مرة أخرى بخاله، واصطحبه إلى قبرص، ثم افترقا، فذهب إلى شمال أفريقية ودخل مصر في منتصف القرن الأول، فأقام بها وأخذ يدعو إلى المسيحية التي كانت أخبارها قد سبقته إليها، وقد وجد في مصر أرضاً خصبة لقبول دعوته، فدخل فيها عدد كبير من المصريين، وكان يسافر من مصر أحياناً إلى رومة، وأحياناً إلى شمال أفريقية، ولكن مصر كانت المستقر الآمن له، فاستمر بها إلى أن ائتمر به الوثنيون، فقتلوه بعد أن سجنوه وعذبوه، وكان ذلك سنة ٦٠ من الميلاد.

وقد جاء في كتاب: «مروج الأخبار في تراجم الأبرار»: أن مرقس كان ينكر ألوهية المسيح هو وأستاذه بطرس الحواري. كما جاء في ذلك الكتاب أن مرقس صنف إنجيله بطلب من أهالي رومية، وكان ينكر ألوهية المسيح[1].

وقد كتب هذا الإنجيل باللغة اليونانية، واختلفوا في زمان تأليفه، وقال في ذلك هورن: «ألف الإنجيل الثاني سنة ٥٦ وما بعدها إلى سنة ٦٥، والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ أو سنة ٦٣».

ويقول صاحب كتاب «مرشد الطالبين»: إنه كتب سنة ٦١.

---

(١) من: «محاضرات في النصرانية» للشيخ أبو زهرة، بتصرف يسير.

واختلفوا أيضاً في مؤلفه، فقال ابن البطريق: إن الذي كتب الإنجيل هو بطرس رئيس الحواريين عن مرقس في مدينة رومية، ونسبه إلى مرقس، ولا يعرف لهذه الرواية سندٌ يُعتد به.

وهناك من ذهب إلى أن مرقس كتبه تحت إشراف أستاذه بطرس وبإرشاده، وقد رجع إليه في بعض حقائقه، واستمد منه بعض الذكريات وبعض حوادث التاريخ.

وقرر الكاتب القديم أربنيوس: أن مرقس كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس.

(٣) إنجيل لوقا:

مؤلفه: لوقا، ولد في أنطاكية، ودرس الطب، وزاول مهنته بنجاح كبير، ثم اعتنق المسيحية، وأصبح من كبار دعاتها، ورافق الرسول بولس في كثير من رحلاته.

وأشار بولس إلى هذه الرفقة في بعض رحلاته، ففي الإصحاح الرابع من رسالته إلى كولوس يقول: «ويسلم عليك لوقا الطبيب الحبيب».

وفي الإصحاح الرابع من رسالته الثانية إلى أهل تيموثاوس يقول: «لوقا وحده معي».

وفي رسالته إلى أهل فليمون يقول: «مرقس، واسترخس، وديماس، ولوقا العاملون معي».

وزعم بوست أنه كان رومانياً، نشأ بإيطاليا، ويرجح آخرون أنه كان مصوِّراً، ولم يكن طبيباً.

ومن هذا يتبين أن الباحثين ليسوا على علم يقيني بمولد وصناعة كاتب هذا الإنجيل، وكلهم متفقون على أنه من تلاميذ بولس ورفقائه، ولم يكن من تلاميذ المسيح، ولا من تلاميذ حوارييه.

وكتب إنجيله باللغة اليونانية، وافتتحه بعبارة تدل على أنه قد كتبه لعظيم يسمى ثيوفيلوس، فهو يقول في فاتحته: «إذا كان كثير قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به».

ولم يحاول لوقا أن يعرف بهذا العظيم، ولذلك اختلف فيه، فقيل إنه كان مصرياً، وقيل إنه أحد عظماء اليونان أوأحد علمائهم.

(يقول الدكتور بوست في تاريخه: «قد كتب هذا الإنجيل قبل خراب أورشليم وقبل الأعمال، ويرجح أنه كتب في قيصرية في فلسطين مدة أسر بولس سنة ٥٨ ـ ٦٠ من الميلاد، غير أن البعض يظنون أنه كتب قبل ذلك».

ومن هذا يفهم أن بوست يرجح أنه ألفه وبولس حي في الأسر، ولكن يحقق العلامة لارون أنه حرر إنجيله بعد أن حرر مرقس إنجيله، وذلك بعد موت بطرس وبولس، والواقع أن باب الخلاف في تاريخ تدوين هذا الإنجيل أوسع من ذلك، فقد قال هورن: ألف الإنجيل الثالث سنة ٥٣ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤.

ولا نترك هذا الإنجيل من غير أن نقول: إن الباحثين قد اختلفوا في شخصية كاتبه، وفي صناعته، وفي القوم الذين كتب لهم، وفي تاريخ تأليفه.

ولم يتفقوا إلا على أنه ليس من تلاميذ المسيح ولا تلاميذ تلاميذه، وإلا على أنه كتب باليونانية)[١]. مات سنة ٧٠ ميلادية على الأرجح.

---

(١) ما بين القوسين من كتاب: « محاضرات في النصرانية » للشيخ أبو زهرة، ص ٤٩.

(٤) إنجيل يوحنا:

ينسب هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري بن زبدى الصياد الذي كان يحبه السيد المسيح، حتى إنه استودعه والدته وهو فوق الصليب كما يعتقدون.

وقد نُفي في أيام الاضطهادات الأولى، ثم عاد إلى أفسس ولبث يبشر فيها، حتى توفي شيخاً هرماً.

ومع أن جميع النحل المسيحية في العصر الحاضر مجمعة على اعتماد هذا الإنجيل، واعتباره مقدساً موحى به، واعتماد صحة نسبه إلى (يوحنا بن زبدى) أحد الحواريين الإثنى عشر، فإن بعض القدامى من الباحثين في المسيحية كانوا ينكرون هذا الإنجيل، وينكرون كذلك جميع ما أسند إلى يوحنا من بقية أسفار العهد الجديد، وهي رسائله الثلاث ورؤياه.

قال **استادلن** في العصور المتأخرة: «إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة الإسكندرية».

وقد كانت فرقة (الوجين) في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا. ولقد جاء في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها جماعة كبيرة من علماء النصارى ما نصه: «أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتابٌ مزور، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما القديسان يوحنا ومتى، وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ووضعت اسمه على الكتاب نصاً، مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة، ذلك الرجل الفلسفي ـ الذي ألف هذا الكتاب

في الجيل الثاني - بالحواري يوحنا الصياد الجليل، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى».

وجاء في دائرة المعارف الفرنسية المشهورة باسم «لاروس القرن العشرين»: «ينسب ليوحنا هذا الإنجيل وثلاثة أسفار أخرى من العهد الجديد، ولكن البحوث الحديثة في مسائل الأديان لا تسلم بصحة هذه النسبة».

وجاء في كتاب الشيخ أبو زهرة «محاضرات في النصرانية» ص٥٣: «ولقد اختلف المسيحيون في تاريخ تدوين هذا الإنجيل اختلافاً بيناً، فالدكتور بوست يرجح أنه كتب سنة ٩٥، أو سنة ٩٨، وقيل سنة ٩٦. ويقول هورن في تاريخ تدوين ذلك الإنجيل: ألف الإنجيل الرابع سنة ٦٨، أو سنة ٦٩، أو سنة ٧٠، أو سنة ٨٩، أو سنة ٩٨ من الميلاد».

إذن فليس هناك تاريخٌ محرر لتدوين هذا الإنجيل، كما أنه ليس هناك بيان قد خلص من الشك بحقيقة كاتبه، وقد علمت ما في ذلك، ولقد قالوا إنه كتب لغرض خاص، وهو أن بعض الناس قد سادت عندهم فكرة أن السيد المسيح ليس بإله، وأن كثيرين من فرق الشرق كانت تقرر تلك الحقيقة، فطلب إلى يوحنا أن يكتب إنجيلاً يتضمن بيان هذه الألوهية، فكتب هذا الإنجيل.

وقد قال جرجس زوين اللبناني فيما ترجمه: «إن شيربنطوس وأبيسون وجماعتهما لما كانوا يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس إلا إنساناً، وأنه لم يكن قبل أمه مريم، فلذلك في سنة ٩٦ اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا، والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح، وينادي بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون، وأن يكتب بنوع خصوصي لاهوت المسيح».

وقال يوسف الدبس الخوري في مقدمة تفسيره «من تحفة الجيل»: «إن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة كنائس آسيا وغيرها، والسبب أنه كانت هناك

طوائف تنكر لاهوت المسيح، فطلبوا منه إثباته، وذكر ما أهمله متى ومرقس ولوقا في أناجيلهم».

وقال صاحب «مرشد الطالبين»: «إنه لا يوجد اتفاق بين العلماء بضبط السنة التي فيها كتب يوحنا إنجيله، فإن بعضهم يزعم أنه كتبه في سنة ٦٥ قبل خراب أورشليم، وآخرون ممن يوجد فيهم بعض الأقدمين يروون كتابته في سنة ٩٨، وذلك بعد رجوعه من النفي.

فالمقصد بكتابته إبقاء بعض مسامرات المسيح الضرورية ذات التروي مما لم يذكره باقي الإنجيليين، وإفناء لبعض هرطقات مفسدة، أشهرها معلمون كذبة في شأن ناسوت المسيح وموته، وخاصة ترسيخ النصارى الأوائل في الاعتقاد بحقانية لاهوت وناسوت ربهم وفاديهم ومخلِّصهم، وقد قيل إن يوحنا لم يؤلّف إنجيله إلا بعد صلاة عامة قلبية مع التبعية لأجل أن يوحيه الروح القدس بذلك».

من هذه النقول يستفاد أن كتاب النصارى يجمعون أو يكادون على أن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا كتب لإثبات ألوهية المسيح التي اختلفوا في شأنها، لعدم وجود نص في الأناجيل الثلاثة بعينها.

وهنا لا يسع القارئ لتلك النقول إلا أن يستنبط أمرين:

أحدهما: صريح، وهو أن **الأناجيل الثلاثة الأولى ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح**، أو هي كانت كذلك قبل تدوين الإنجيل الرابع على الأقل، وهذه حقيقة يجب تسجيلها، وهي أن النصارى مكثت أناجيلهم نحو قرن من الزمان ليس فيها نص على ألوهية المسيح.

وثانيهما: أن الأساقفة اختلقوا ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذي يدل عليها ويصرِّح بها، ولما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم، ويدفعوا هرطقتهم في زعمهم لم يجدوا مناصاً من أن يلتمسوا دليلاً ناطقاً يثبت ذلك، فاتجهوا إلى يوحنا، فكتب كما يقولون إنجيله الذي يشتمل على الحجة، وبرهان القضية، والبينة فيها على زعمهم، وهذا ينبئ عن أن **الاعتقاد بألوهية المسيح سابق لوجود نص في الكتب عليه**، وإلا ما اضطروا اضطراراً إلى إنجيلٍ جديدٍ طلبوه، فلما لم يجدوه طلبوا من يوحنا أن يكتبه، ولكن الواقع أن رسائل الرسل التي كتبت في قولهم قبل هذا الإنجيل فيها ما ينبئ عن ألوهية المسيح ويعلنها، أفلم تكن فيها حجة لا تجعلهم في حاجة ماسة إلى إنجيل جديد، وفيها غناء عن البيان يغنيهم عن سواه، أم لعل تلك الرسائل المشتملة على هذه الألوهية كتبت بعد هذا الإنجيل ليؤيدوه بها، وليثبت ما أتى به، ويرسخ في نفوس المسيحيين، ثم نسبت إلى السابقين؟! انتهىٰ. من «محاضرات في النصرانية».

* * *

نظرة في محتويات الأناجيل

يشتمل أكبر حيز من كل إنجيل على قصة مريم، وحملها بالمسيح وولادته، ودعوته إلى دينه، وما تتضمنه من عقيدة وبعض الأحكام القليلة، ومعجزاته، واحتبائه للحواريين والتلاميذ، وصلبه ليكفر بذلك عن الخطيئة التي ارتكبها آدم، بأكله من الشجرة التي نُهِيَ عن الأكل منها، والتي انتقلت بطريق الوراثة إلى جميع نسله، وكانت ستظل عالقة بهم إلى يوم يبعثون لولا أن افتداهم المسيح بدمه، وقيامه من قبره بعد ثلاثة أيام من دفنه، وظل بعد ذلك مع الحواريين والتلاميذ وأنصاره أربعين يوماً يعلمهم ويرشدهم، ثم رُفِع إلى السماء، وجلس على يمين أبيه، يصرف شؤون العالم، وسيتولى يوم القيامة حساب الناس على ما فعلوه في الحياة الدنيا.

وتقرر الأناجيل ـ لا سيما إنجيل يوحنا ـ ألوهية المسيح وبنوَّته للآب، وأن طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية: الله الآب، والله الابن، والله روح القدس.

ففي إنجيل متى (ص٣: ع ١٦ – ١٧): «فلما اعتمد يسوع صعيد الوقت من الماء، وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل الحمامة وآتياً عليه (١٧) وصوت من السموات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت».

وفي الإصحاح ١٧ منه ـ ع٥: «وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم، وصوت من السحاب قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت، له اسمعوا».

وفي نفس الإنجيل (ص٢٨: ع١٩): «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس».

وفي إنجيل يوحنا (ص١: ع١): «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله (٢) هذا كان في البدء عند الله، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان... (١٤) والكلمة صار جسداً وحل بيننا، ورأينا مجده مجداً لما لو حيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً».

وفيه أيضاً (ص١٠: ع٣٠): «أنا والآب واحد».

وفيه (ص١٠: ع٣٨): «لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيَّ وأنا فيه».

وفيه (ص٢٠: ع٢٨): «أجاب توما وقال ربي وإلهي (٢٩) قال له يسوع لأنك رأيتني يا توما آمنت ... طوبى للذين آمنوا ولم يروا».

وفي إنجيل متى (ص٢٦: ع٦٣): «فأجاب رئيس الكهنة وقال له استحلفك بالله الحي، أنْ تقولَ لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟ (٦٤) قال له يسوع: أنت قلت».

وفي إنجيل مرقس (ص١٤: ع٦٢): «فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له: أأنت المسيح ابن المبارك (٦٣) فقال يسوع: أنا هو».

وأما فيما يتعلق بشؤون الشريعة؛ فإنه يفهم من هذه الأناجيل أن المسيحية قد أقرت شريعة اليهود المقررة في العهد القديم ولم تستثن من ذلك إلا ما ورد عن المسيح نص بنسخه أو تعديله، ففي إنجيل متى (ص٥: ع١٧): «لاتظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل (١٨) فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل».

فمن الأحكام القليلة التي خالف فيها المسيح شريعة اليهود، ما ورد عنه بشأن

الطلاق، وقصاص الجروح، ورجم الزانية.

ففي إنجيل متى (ص٥: ع٣١ ـ ٣٢): «وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق (٣٢) وأما أنا فاقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزني، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني».

وفي نفس الإنجيل (ص١٩: ع٣ ـ ٩): «وجاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين له: هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب (٤) فأجاب لهم أما فرأيتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى (٥) وقل من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً (٦) إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد، فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان (٧) قالوا له إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم، ولكن من البدء لم يكن هكذا (٩) وأقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج أخرى يزني، والذي يتزوج مطلقة يزني».

وفي إنجيل مرقس (ص١٠: ع٢ـ١٢): «فتقدم الفريسيون وسألوه: هل يحل للرجل أن يطلق امرأته ليجربوه (٣) فأجاب وقال لهم: بماذا أوصاكم موسى (٤) فقالوا: موسى أذن أن يكتب كتاب طلاق فتطلق (٥) فأجاب يسوع وقال لهم: من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية (٦) ولكن من بدء الخليقة ذكراً أو أنثى خلقهما الله (٧) من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته (٨) ويكون الاثنان جسداً واحداً، إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد (٩) فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان (١٠) ثم في البيت سأله تلاميذه أيضاً عن ذلك (١١) فقال لهم: من طلق امرأته فتزوج بأخرى يزني عليها (١٢) وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني».

أما بخصوص قصاص الجروح، فقد جاء في إنجيل متى (ص٥: ع٣٨ ـ ٤٠) قول المسيح «سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن (٣٩) وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر

بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً (٤٠) ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً».

وبخصوص رجم الزانية، فقد ورد في إنجيل يوحنا (ص٨: ع٢ ـ ١١): «وقدم إليه الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت في زنا، ولما أقاموها في الوسط (٤) قالوا له يا معلم هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل (٥) وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم، فماذا تقول أنت (٦) قالوا هذا ليجربوه لكي يكون لهم ما يشتكون به عليه وأما يسوع فانحنى إلى أسفل وكان يكتب بأصبعه على الأرض (٧) ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم: من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولاً بحجر (٨) ثم انحنى أيضاً إلى أسفل وكان يكتب على الأرض (٩) وأما هم فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تبكتهم خرجوا واحداً فواحداً مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين وبقي يسوع وحده والمرأة واقفة في الوسط (١٠) فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحداً سوى المرأة قال لها: يا امرأة أحدهم أولئك المشتكون عليك، أما دانك أحد (١١) فقالت: لا أحد يا سيد، فقال لها يسوع: ولا أنا آذيتك، اذهبي ولا تخطئي أيضاً».

وأما فيما يتعلق بأخلاق الأناجيل، فإنها ممعنة كل الإمعان في مثاليتها، وحريصة كل الحرص على أن تقوم العلاقات بين الناس على أسس التسامح والعفو ودفع السيئة الحسنة، حتى إنها تكاد تجعل ذلك واجباً من الواجبات، وتبدو هذه القواعد أوضح ما يكون في كثير من الفقرات الواردة في خطبة الجيل».

فمن ذلك قول المسيح في هذه الوصية: «(٤٣) سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك (٤٥) وأما فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم (٤٥) لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات، فإنه يشرق شمسه على الشرار والصالحين وتمطر على الأبرار والظالمين

(٤٦) لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأي أجر لكم، أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك (٤٧) وإن سلمتم على إخوتكم فقط فأي فضل تصنعون، أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا (٤٨) فكونوا كاملين كما أن ابنكم الذي في السموات هو كامل» [متىٰ ـ ص٥].

ومن ذلك قوله في الوصية نفسها: «(٣٨) سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن (٣٩) وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً (٤٠) ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً (٤١) ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين (٤٢) من سألك فأعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده» [متىٰ ـ ص٥].

* * *

الأناجيل غير المعتمدة عند المسيحيين

كان لدى المسيحيين في القرنين الأول والثاني الميلاديين أناجيل كثيرة غير الأناجيل الأربعة المعتمدة السالفة الذكر، وكان لكل فرقة من فرقهم إنجيلاً أو أناجيلها الخاصة التي تعتمد عليها وتغفل ما عداها من الأناجيل أو تحكم بزيفها وبطلانها.

فكان ثمّة إنجيل ينسب لمتّىٰ غير إنجيله السابق ذكره في الأناجيل الأربعة، وإنجيل ينسب للحواري بطرس، وإنجيل ينسب للحواري يعقوب، وإنجيل ينسب للحواري توما، وإنجيل ينسب لبرنابا ـ أحد الحواريين أو أحد التلاميذ السبعين ـ وإنجيل ينسب إلى نيقوديموس[1]، وإنجيل ينسب إلى نيكوديم، وإنجيل الاثني عشر، وإنجيل السبعين، وينسب إلى تلامس، وإنجيل اشتهر باسم «التذكرة»، وإنجيل يسمى «إنجيل العبريين أو الناصريين»، وإنجيل كان يسمى «إنجيل المصريين»، وكان لكل من أتباع «ديصان»، وأتباع «ماني»، وأتباع «مرقيون أو مرسيون»، وأتباع «إيبون» إنجيل خاص يختلف عن إنجيل من عداهم.

جاء في كتاب «الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام»: «ثم أرادت الكنيسة

---

(١) اسم يوناني معناه: «المنتصر على الشعب»، وهو فريسي وعضو في السنهوريم، وكان واحداً من رؤساء اليهود، جاء إلى المسيح في الليل (حتى لا يراه أحد) ليشاوره ويباحثه في أمر الولادة الثانية الروحية، وقد اقتنع بكلام يسوع (يو ٣: ١ـ ٢١)، ودافع عن يسوع في السفهدريم لما هاجمه الفريسيون (يو ٧: ٥٠). انتهىٰ. من «قاموس الكتاب المقدس»، ص ٩٨٨.

المسيحية في أواخر القرن الثاني الميلادي وأوائل القرن الثالث أن تستبعد الأناجيل غير المعتمدة في نظرها وتحكم ببطلانها، وتحافظ على ما تعتقد صدق حقائقه وصحة نسبته إلى صاحبه، فاختارت الأناجيل الأربعة السابق ذكرها من الأناجيل الكثيرة التي كانت رائجة حينئذٍ، وقررت أنها هي وحدها الأناجيل الصادقة في حقائقها وصحة نسبتها إلى أصحابها، وأن ما عداها من الأناجيل أناجيل موضوعة غير صحيحة في حقائقها، ومعظمها غير صحيح في نسبته إلى من ينسب إليه، وأرادت المسيحية على قبولها ورفض ما عداها، وتم لها ما أرادت، فصارت هذه الأناجيل الأربعة هي المعتمدة دون سواها، مع أن هذه الأناجيل كانت قبل ذلك العهد أقل ذيوعاً وشهرة من بعض الأناجيل الأخرى، بل كانت مجهولة لكثير من المسيحيين، وأول من أذاع ذكره هذه الأناجيل القديس أرينيه، إذ قرر في سنة ٢٠٩ أن هذه الأناجيل الأربعة هي مجرد صور لإنجيل واحد.

ثم جاء من بعده القديس كليمان الإسكندري ـ من كبار رجال الكنيسة وفقهائها، توفي سنة ٢٢٠ ـ وقرر في سنة ٢١٦ أن من واجب المسيحي التسليم بصحة هذه الأناجيل الأربعة»[١]. انتهىٰ.

هذا وسنلقي فيما يلي نظرة على إنجيل برنابا غير المعتمد، لاختلافه اختلافاً جوهرياً عن الأناجيل الأربعة، وكثرة وجوه الاتفاق بينه وبين القرآن وعقائد المسلمين.

* * *

(١) «الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام»، ص٨١ – ٨٢.

نظرة عامة على الأناجيل الأربعة المعتمدة

خلاصة القول إن هذه الأناجيل الأربعة المنسوبة إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا:

ـ ليس لها سند متصل أو منقطع إليهم.

ـ ونسخها الأصلية مفقودة.

ـ ومختلف في مؤلفيها، وتاريخ تأليفها، والمكان الذي ألفت فيه.

ـ ومجهول مترجم كل إنجيل منها.

ـ ولا يمكن أن تكون قد كتبت بالإلهام ـ كزعمهم ـ لتعارضها وتناقضها.

وقد أورد الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه: «إظهار الحق» مئة شاهد من الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى في التحريف اللفظي والمعنوي، منها على سبيل المثال:

*** خلافها في نسب المسيح من جهة يوسف النجار الذي كان رجل مريم كما تذكر الأناجيل:**

فإنجيل متّىٰ يذكر في نسبه هذا آباء غير الآباء الذين يذكرهم إنجيل لوقا.

وبينما يعد لوقا في سلسلة نسبه إلى إبراهيم الجليل ستة وخمسين أباً، يهبط بهم متى إلى اثنين وأربعين فحسب، وبينما يعد لوقا في سلسلة نسبه إلى داود واحداً وأربعين أباً يهبط بهم متّىٰ إلى ستة عشر، وبينما يستفاد من متى أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل: ملوك مشهورون، يظهر مما ذكر لوقا أنه ليس منهم من يعد من الملوك المشهورين غير

داود وناثان[١]!

*** ومن ذلك اختلافها في حادث القبض على المسيح:**

فقد قص «إنجيل متى» خبر القبض عليه في هذه العبارة من الإصحاح ٢٦:

«(٤٧) وفيما هو يتكلم إذا يهوذا أحد الاثني عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب (٤٨) والذي أسلمه أعطاهم علامة قائلاً: الذي أقبّله هو هو أمسكوه (٤٩) فللوقت تقدم إلى يسوع وقال: السلام يا سيدي، وقبّله، فقال له يسوع: ياصاحب لماذا جئت، حينئذٍ تقدّموا وألقَوا الأيادي على يسوع وأمسكوه».

ولكن «إنجيل يوحنا» يقص قصة القبض عليه على وجه آخر، إذ يقول في الإصحاح ١٨:

«(٣) فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين، وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح (٤) فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه، وقال لهم: من تطلبون (٥) أجابوه: يسوع الناصري، قال لهم يسوع: أنا هو، وكان يهوذا مسلمه أيضاً واقفاً معهم (٦) فلما قال لهم إني أنا هو، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض (٧) فسألهم أيضاً: من تطلبون؟ فقالوا: يسوع الناصري (٨) أجاب يسوع: قد قلت لكم إني أنا هو، فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون (٩) ليتم القول الذي قاله إن الذي أعطيتني لم أُهلِك منهم أحداً».

*** ونجد في الإصحاح الخامس عشر من «إنجيل متى»:**

بعد مناقشة الفريسيين تقدمت إليه امرأة ابنتها مريضة بالجنون تطلب شفاءها، ونص الخبر كما جاء في ذلك الإصحاح:

---

(١) وازن بين الأعداد (١ – ١٧) من الإصحاح الأول من إنجيل متى، والأعداد (٢٣ ـ ٢٨) من الإصحاح الثالث من إنجيل لوقا.

«(٢١) ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيدا (٢٢) وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة: ارحمني يا سيد يا ابن داود؛ ابنتي مجنونة جدّاً (٢٣) فلم يجبها بكلمة، فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين: اصرفها لأنه تصيح وراءنا».

وتجيء هذه القصة في الإصحاح السابع من «إنجيل مرقس» بالنص الآتي:

«(٢٤) ثم قام من هناك ومضى إلى تخوم صور وصيدا ودخل بيتاً وهو يريد أن لا يعلم أحد، فلم يقدر أن يختفي (٢٥) لأن امرأة كان بابنتها روح نجس سمعت به فأتت وخرت عند قدميه (٢٦) وكانت المرأة أممية وفي جنسيتها فينيقية سورية».

ففي هذا النص يبين جنس المرأة بأنها فينيقية سورية، وأنها أممية ليست من اليهود، وفي الأولى توصف بأنها كنعانية ـ أي ليست فينيقية ـ فأيها الأحرى بالقبول؟! لا شك أنه لا يمكن أن تكون الروايتان صادقتين معاً، بل لا بد أن تكون إحداهما كاذبة، وليست بإلهام من الله، لأن الله لا يكذب!

*** وفي موت يهوذا الذي خان المسيح على زعمهم، اختلفت رواية متّى عن رواية لوقا في سفر أعمال الرسل:**

فمتّى يقول: إنه خنق نفسه ومات، كما جاء في الإصحاح السابع والعشرين، ولوقا يقول في سفر الأعمال: إنه خر علىٰ وجهه، وانشق بطنه، فانسكبت أحشاؤه كلها ومات.

ولا شك أن بين الروايتين اختلافاً، لأن الموت بالخنق غير الموت بشق البطن، ولا بد أن تكون إحداهما على الأقل كاذبة، ولكنها غير معلومة، فيتطرق الشك إلى الأخرى فيرُدّان معاً، ولا يمكن أن تكونا بإلهام، أو لا يمكن مع ذلك الشك الإيمان بأن إحداهما بإلهام»[١].

---

(١) من: «محاضرات في النصرانية» للشيخ أبو زهرة، ص٩٠.

إنجيل برنابا

ينسب تأليفه إلى «برنابا» وهو اسم آرامي معناه «ابن الواعظ»، وهو لاوي، قبرصي الجنس.

وهو من الاثني عشر كما جاء في إنجيله، أو من التلاميذ السبعين الذين اختارهم المسيح من بين أتباعه والملازمين لصحبته والاستماع إليه بجانب الإثني عشر حوارياً، وكلفهم بالتبشير بالمسيحية في قرى «الجليل».

جاء ذكره في رسالة أعمال الرسل التي ينسب تدوينها إلى «لوقا»، فقد جاء في الإصحاح الرابع من تلك الرسالة: «.. (٢٦) ويوسف الذي دعي من الرسل برنابا الذي يترجم ابن الواعظ، وهو لاوي قبرصي الجنس (٢٧) إذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل».

وجاء في الإصحاح التاسع عند الكلام على إيمان «شاول» ـ وهو الذي اشتهر بعدئذ باسم «بولس الرسول» ـ إن «برنابا» هو الذي شهد له بالإيمان، وهذا هو نص ما جاء فيه:

«(٢٦) ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ (٢٧) فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق، وأنه كلمه وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع».

وذكر هذا السفر أيضاً أنه كانت ترسله الكنيسة للوعظ والهداية، ففي الإصحاح الحادي عشر:

«(٢٢) فسمع الخبر عنهم في آذان الكنيسة التي في أورشليم فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى أنطاكية (٢٣) الذي لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب (٢٤) لأنه كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والإيمان، فانضم إلى الرب جمع غفير».

ويزعمون أن الروح القدس خاطبه واختصه بالخطاب، هو وبولس ـ شاول ـ من بين الأنبياء والمعلمين، فقد جاء في الإصحاح الثالث عشر من رسالة الأعمال:

«(١) وكان في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلّمون: برنابا وسمعان الذي يدعى نيجر، ولوكنوس القيرواني، ومنابن الذي تربى مع هيرودس رئيس الربع، وشاول (٢) وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس: افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه ...».

وينسب لبرنابا إنجيلٌ كان معروفاً لدى المسيحيين منذ أقدم عصورهم، وورد ذكر هذا الإنجيل فيما ينسب لقدامى رجال الكنيسة من بحوث وقرارات، ومن ذلك القرار الذي أصدره البابا جلاسيوس الأول ـ الذي تولى الكنيسة الكاثوليكية بروما من سنة ٤٩٢ إلى سنة ٤٩٦ ـ وعدد فيه الكتب المنهي عن قراءتها، وذكر من بين هذه الكتب إنجيل برنابا، وهذا يدل على أن إنجيل برنابا كان معروفاً في القرن الخامس الميلادي، أي قبل بعثة رسولنا عليه السلام بنحو قرنين.

غير أنه يظهر أنه قد اختفت من بعد ذلك جميع نسخ هذا الإنجيل، ولم يعد الناس يعرفون شيئاً عن محتوياته، ولعل تحريم قراءته هو الذي انتهى به إلى ذلك، وظل الأمر على هذه الحال حتى أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، وفي سنة ١٧٠٩ عثر كريمر أحد

مستشاري ملك بروسيا على نسخة من هذا الإنجيل مكتوبة باللغة الإيطالية، وعلى هامشها تعليقات باللغة العربية، وانتقلت هذه النسخة مع بقية مكتبة ذلك المستشار في سنة ١٧٣٨ إلى البلاط الملكي بفيينا.

وغني عن البيان أن هذه النسخة مترجمة عن اللغة التي كتب بها في الأصل هذا الإنجيل، فإذا صح أن مؤلفه هو برنابا، فإن من الراجح أن يكون قد كتبه بإحدى اللغات الثلاث التي كانت المؤلفات الدينية وغيرها تدون بها في عصره وفي بيئته، وهي اللغات العبرية والآرمية واليونانية. ولا يمكن أن يكون قد كتب في الأصل باللغة الإيطالية، لأن اللغة الإيطالية لغة حديثة لم يتم تكوينها وانشعابها عن أمها اللاتينية إلا حوالي القرن السادس عشر الميلادي[1].

وفي أوائل القرن الثامن عشر ـ أي في زمن مقارب لظهور النسخة الإيطالية ـ وجدت نسخة أسبانية، مسطور في صدرها أنها مترجمة عن الإيطالية بقلم مسلم أروغاني يسمى مصطفى العرندي، ومصدرة بمقدمة يقص فيها مكتشف النسخة الإيطالية، وهو راهب لاتيني يسمى فرا مرينو، أنه وجدها مصادفة بمكتبة البابا أسكتس الخامس بروما، فاختلسها وقرأها، واعتنق الإسلام، وذلك في أواخر القرن السادس عشر.

ويقدم فقهاء المسيحيين وباحثوهم شواهد تدل على أن هذا الإنجيل موضوع بقلم بعض المسلمين، وأن مؤلفه قد نسبه زوراً إلى برنابا لترويج ما تضمنه، ومن هذه الشواهد التي يذكرونها:

---

(١) راجع كتاب: «الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام» للدكتور علي عبد الواحد وافي، ص٨٣، ٨٤.

وجود تعليقات باللغة العربية بهوامش النسخة الإيطالية مما يدل على أن أصله إسلامي.

كما أن هذا الإنجيل لم يكن معروفاً عند المسلمين في غابرهم وحاضرهم، لأن المناظرات بينهم وبين المسيحيين كانت قائمة في كل العصور، ولم يعرف أن أحداً احتج به على مناظره المسيحي بهذا الإنجيل، مع أن فيه الحجة الدامغة التي تفلج المسلم على المسيحي.

وما يقرره من أمور تمثل روايات ذكرها بعض مؤلفي المسلمين، ولا يطمئن إلى مثلها المحققون منهم، كما يقرره عن آدم وأنه لما طرد من الجنة رأى سطوراً كتبت فوق بابها بأحرف من نور: لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وما ينسبه إلى المسيح من أقوال تمثل تحقيقات الفقهاء والمؤرخين، لا كلام الأنبياء، كالأقوال التي ينسبها إلى المسيح بشأن الذبيح، وما يذكر أن المسيح قد قدمه من أدلة على أنه هو إسماعيل لا إسحاق[1].

والتصريح فيه بالتبشير باسم النبي، مع أن المعهود في البشارات الرمز أو التلميح لا النص.

وما جاء فيه عن وجوب الختان، والكلام الجارح الذي جاء به من أن الكلاب أفضل من الخلق.

على أن هذه الشواهد لا تنهض دليلاً على أن هذا الإنجيل موضوع، فوجود تعليقات عربية بهوامش النسخة الإيطالية يدل فقط على أن بعض من قرأ هذه النسخة يعرف اللغة العربية، ومن الغريب أن يتخذ من التعليقات العربية دلالة على أصله الإسلامي، ولا يتخذ من صلبه الإيطالي دليلاً على أصله المسيحي!

---

(١) راجع كتاب: «الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام»، ص ٨٨.

أما كون التبشير بالنبي صلى الله عليه وسلم صريحاً فيه وليس بتلميح، فنحن لا نسلم بأن كل التبشيرات في الكتب الدينية تلميح، نعم بعضها رمز وتلميح، ولكن ليس معنى ذلك نفي التصريح.

«ومن المؤكد أن ذلك الإنجيل لم يكن معروفاً عند المسلمين في غابرهم وحاضرهم، لأن المناظرات بينهم وبين المسيحيين كانت قائمة في كل العصور، ولم يعرف أن أحداً احتج على مناظره المسيحي بهذا الإنجيل، مع أن فيه الحجة الدامغة التي تفلج المسلم على المسيحي ـ كما قدمنا ـ فدعوى وجود نسخة عربية كانت هي الأصل للنسخة الإيطالية، فوق أنها لا دليل عليها مطلقاً، ولو بطريق الوهم، هي تناقض أخبار التاريخ الإسلامي مناقضة تامة، وإلا احتج المجادل عن الإسلام بها، ففيها أقوى دليل، والتاريخ لم يحفظ ذلك، وهذى سجلاته ليستنبطوها، وليعرفوا دخائلها، فلن يجدوا شيئاً يمكّن دعواهم ويثبّت قضيتهم»[1].

أما ما جاء فيه من الألفاظ الجارحة عند الكلام على وجوب الختان من أن الكلاب أفضل من الخلق، فلم ينفرد إنجيل برنابا وحده بمثل هذه الألفاظ دون باقي الأناجيل المعتمدة.

ففي إنجيل متى، الإصحاح ٢٣ يخاطب المسيح الكتبة والفريسيين بقوله:

«ويل لكم أيها الكتبة والفريسيُّون المراءون، أيها القادة العميان...، أيها الجهال والعميان...، أيها الحمقى العميان...، أيها الفريسي الأعمى...، أيها الحيات أولاد الأفاعي...».

وفي نفس الإنجيل (الإصحاح ١٥) أطلق السيد المسيح لفظ الكلاب على الكنعانيين الذين كانوا كافرين.

---

(١) من: «محاضرات في النصرانية»، ص ٦٤.

وفي نفس الإنجيل أيضاً في الإصحاح الثالث العدد ٧: كيف خاطب يحيى عليه السلام الفريسيين والصدوقيين بقوله:«يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي».

هذا، وإن أقدم نسخة عرفت لهذا الإنجيل هي النسخة الإيطالية التي عثر عليها في فجر القرن الثامن عشر، ولكن وجودها يمتد إلى منتصف القرن الخامس عشر أو أول القرن السادس عشر، قد وجدت في جو مسيحي خالص، فلا مظنة لأن تكون مدخولة عليهم، فأول من عثر عليها في خزانة كتبه رئيس دينى خطير، وكاشفها راهب، ولما تداولتها الأيدي انتقلت إلى مستشار مسيحي من مستشاري ملك بروسيا، ثم آلت إلى البلاط الملكي بفيينا، فلا مظنة لأن تكون مدخولة عليهم، وهي منسوبة لقديس من القديسين هو برنابا، ولم يعرف بهذا الاسم سواه، وله مثل مكانته الدينية، ولقد كان وجود إنجيلٍ له أمراً معروفاً بين العلماء بهذا الدين، فهذا فرامينو يقول: إنه اطلع على رسالة لأريانوس يستنكر ما كتب بولس مستشهداً على استنكاره بإنجيل برنابا.

ويذكر التاريخ أن هناك أناجيل كثيرة حرمت قراءتها الكنيسة ـ كما أشرنا من قبل ـ ويقول الدكتور سعادة: «يذكر التاريخ أمراً أصدره البابا جلاسيوس الأول الذي جلس على الأريكة البابوية سنة ٤٩٢ يعدد فيه أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها وفي عدادها كتاباً يسمى إنجيل برنابا، ويذهب بعض العلماء المدققين إلى أن أمر البابا جلاسيوس المنوه عنه إنما هو برمته تزوير».

ولكن التاريخ أصح وأصدق من قول هؤلاء العلماء، وإن كانوا محققين، فأقوال العلماء والمؤرخين تترى في تحريم قراءة أناجيل كثيرة، فإذا فعل ذلك البابا جلاسيوس فقد سار على سنة أسلافه، وجرى على سنته من بعده أخلافه، وإذا صح ذلك الأمر، كما يشهد

التاريخ، وكما تنبئ عنه المقدمات والنتائج فإن إنجيل برنابا كان معروفاً متداولاً قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بأكثر من قرنين.

وزعم الدكتور سعادة بأنه لو كان معروفاً في ذلك الإبان لعرفه النبي صلى الله عليه وسلم واحتج به، أو أخذ منه: زعمٌ باطل؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولم يقم في البلاد التي سادتها المسيحية آماداً تمكنه من المعرفة والاطلاع، ولأن معنى قرنين من الزمان بعد التحريم يجعل التحريم ينتج أثره، فيخفى ما كان ذائعاً، ويدفن ما كان معلوماً مشهوراً، فمئتان من السنين تكفي لطمس الموجود، وتعفية آثار المفقود.

وإن المسيحيين يجدون فيما اشتمل عليه ذلك الإنجيل أخباراً دقيقة عن التوراة، حتى لقد قال الدكتور سعادة: «إنك إذا أعملت النظر في هذا الإنجيل وجدت لكاتبه إلماماً عجيباً بأسفار العهد القديم لا تكاد تجد لها مثيلاً بين طوائف النصارى إلا في أفراد قليلين من الأخصائيين الذين جعلوا حياتهم وقفاً على الدين، كالمفسرين، حتى إنه ليندر أن يكون بين هؤلاء أيضاً من له إلمام بالتوراة يقرب من إلمام كاتب إنجيل برنابا».

هذه بينات شاهدة ـ وإن لم تبلغ مبلغ اليقين والجزم ـ بأن نسبة هذا الإنجيل إلى برنابا نسبة يرجح أن تكون صحيحة[1]. انتهى.

ومهما كان الأمر، فإنجيل برنابا واحد من الأناجيل التي ألفت في قصة المسيح، وإن كان يمتاز عن سائرها بالبلاغة ودقة التعبير، ويختلف عن الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين اختلافاً جوهرياً في كثير من نواحي العقيدة، وشخصية المسيح، ويتفق فيما يقرره في هذه الشؤون مع العقيدة الإسلامية المستمدة من القرآن.

---

(١) من: «محاضرات في النصرانية»، ص٦٢، ٦٣.

ويرجع أهم ما خالف فيه الأناجيلَ الأربعةَ المعتمدة، ووافق فيه العقيدة الإسلامية إلى الأمور الأربعة الآتية:

الأول: إنه يقرر أن المسيح ليس إلا بشراً رسولاً، وأنه ليس إلهاً، ولا ابناً لله.

فهو يقول في مقدمة إنجيله: «أيها الأعزاء، إنّ الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى (٣) مبشرين بتعليم شديد الكفر (٤) داعين المسيح ابن الله (٥) ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً (٦) مجوزين كل لحم نجس (٧) الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى (٨) وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع».

ويقول في آخر الفصل الثالث والتسعين: «..(١٨) أجاب الكاهن: إن اليهودية قد اضطربت لآياتك وتعليمك حتى إنهم يجاهرون بأنك أنت الله فاضطررت بسبب الشعب إلى أن آتي إلى هنا مع الوالي الروماني والملك هيرودس (١٩) فنرجوك من كل قلبنا أن ترضى بإزالة الفتنة التي ثارت بسببك (٢٠) لأن فريقاً يقول: إنك الله، وآخر: إنك ابن الله، ويقول فريق: إنك نبي (٢١) فأجاب يسوع: «وأنت يا رئيس كهنة الله لماذا لم تخمد الفتنة (٢٢) هل جننت أنت أيضاً (٢٣) هل أمست النبوات وشريعة الله نسياً منسياً، أيتها اليهودية الشقية التي ضللها الشيطان».

وفي الإصحاح الرابع والتسعين، ولما قال يسوع هذا عاد فقال: «.. (١) إني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أني بريء من كل ما قال الناس عني من أني أعظم من بشر (٢) لأني بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام».

ويقول في الفصل السبعين: «(٤) أجاب يسوع: وما قولكم أنتم فيَّ؟ أجاب بطرس: إنك المسيح ابن الله ..(٦) فغضب حينئذٍ يسوع وانتهره بغضب قائلاً: «اذهب وانصرف عني لأنك أنت الشيطان وتحاول أن تسيء إليَّ ..».

الثاني: إنه يقرر أن المسيح لم يصلب ولكن شبه لهم:

فيتفق هنا مع ما يقرره القرآن الكريم إذ يقول: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ...﴾ [النساء: ١٥٧].

فيقرر هذا الإنجيل أن الله ألقى شبه المسيح على يهوذا الإسخريوطي، فأخذوه وصلبوه ظانين أنه المسيح، وفي هذا يقول في الفصل السابع عشر بعد المئتين ما نصه: «..(٨٠) الحق أقول إن صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه هو يسوع (٨١) لذلك خرج بعضهم من تعليم يسوع معتقدين أن يسوع كان نبياً كاذباً، وأنه إنما فعل الآيات التي فعلها بصناعة السحر (٨٢) لأن يسوع قال: إنه لا يموت إلى وشك انقضاء العالم (٨٣) لأنه سيؤخذ في ذلك الوقت من العالم».

ثم يبين أن يسوع طلب إلى الله أن ينزل إلى الأرض بعد رفعه ليرى أمه وتلاميذه، فنزل ثلاثة أيام، ثم يقول في الفصل الحادي والعشرين بعد المئتين: «(١٤) وبّخ كثيراً مِنَ الذين اعتقدوا أنه مات وقام قائلاً: «أتحسبونني أنا والله كاذبَيْن؟! (١٥) لأن الله وهبني أن أعيش حتى قبيل انقضاء العالم كما قد قلت لكم (١٦) الحق لكم إني لم أمت بل يهوذا الخائن (١٧) احذروا لأن الشيطان سيحاول جهده أن يخدعكم (١٨) ولكن كونوا شهودي في كل إسرائيل وفي العالم كله لكل الأشياء التي رأيتموها وسمعتموها».

الثالث: إنه يقرر أن مسيا أو المسيح المنتظر الذي ورد ذكره في العهد القديم ليس يسوع بل محمداً عليه الصلاة والسلام.

وقد ذكر محمداً باللفظ الصريح المتكرر في فصول ضافية الذيول، وقال إنه رسول الله، وإن آدم لما طرد من الجنة رأى سطوراً كتبت فوق بابها بأحرف من نور: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله».

ولقد قال المسيح كما جاء في إنجيل برنابا: «إن الآيات التي يفعلها الله على يدي تظهر أني أتكلم بما يريد الله، ولست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه، لأني لست أهلاً لأن أحل رباطات أو سيور حذاء رسول الله الذي تسمونه مسيا الذي خلق قبلي، وسيأتي بعدي بكلام الحق، ولا يكون لدينه نهاية».

وإنك لتجد في الفصلين الثالث والأربعين، والرابع والأربعين كلاماً وافياً في التبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن التلاميذ طلبوا من المسيح عليه السلام أن يصرِّح لهم به، فصرَّح بما يعلن حقيقته، ويبين ما له من شأن[1].

---

(١) من: «محاضرات في النصرانية»، ص ٦٧. وقال المرحوم عبد الوهَّاب النجار في كتابه «قصص الأنبياء» ص٤٧٣:

« كنت في سنة ١٨٩٣ سنة ١٨٩٤ ميلادية طالباً بدار العلوم في السنة الأولى، وكان يجلس بجانبي في درس اللغة العربية العلامة الكبير الدكتور كارلو نلينو المستشرق التلياني، وكان يحضر درس اللغة العربية بتوصية من الحكومة الإيتالية، فانعقدت أواصر الصحبة المتينة بيني وبينه، وكان المرحوم أحمد بك نجيب يعطي محاضرات في الانفتياترو العمومي، وكنا نحضرها ونعطى ملازم من كتابه «الأثر الجليل في مياه وادي النيل». ففي ليلة السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٣١١ خرجنا بعد المحاضرة، وسرنا في درب الجماميز فقال لي الدكتور نلينو: هذه ليلة المعراج، فقلت: نعم، فقال: وبعد ثلاثة أيام عيد السيدة زينب، فقلت: نعم، ثم قلت له: ما رأيك يا دكتور في المعراج؟ فقال: هو ذهاب النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ليلاً وصعوده إلى السماء وعوده

الرابع: اتفاقه مع أرجح الآراء عند المسلمين فيما ينقله عن المسيح بشأن الذبيح الذي تقدم به إبراهيم عليه السلام للفداء.

فيقرر أن المسيح قد بين أن هذا الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق، كما هو مذكور في توراة اليهود، وهذا نص ما جاء في إنجيل برنابا على لسان المسيح عليه السلام: «الحق أقول لكم، إنكم إذا أمعنتم النظر في كلام الملاك جبريل، تعلمون خبث كتبنا وفقهائنا، لأن الملاك قال: يا إبراهيم، سيعلم العالم كله كيف يحبك الله، ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله، حقاً يجب عليك أن تفعل شيئاً لأجل محبة الله، أجاب إبراهيم: ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله، فكلم الله حينئذٍ إبراهيم قائلاً: خذ ابنك بكرك، واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة»، فكيف يكون إسحاق البكر وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين؟!

إلى مكة في ليلة واحدة، فقلت: أنا أعلم أنك تفهم هذا، ولكن الذي أريد أن أعرفه هو رأيك في هذا القول، وهل هو صحيح أو كاذب؟ (والرجل مؤدب جداً) فقال: هذا شيء عجيب! فقلت: يوجد ما هو أعجب منه، قال: وما هو؟ قلت: إن المسيح يصلب ويقتل ويُدفن ثم يقوم من الأموات ويصعد إلى السماء ويجلس إلى يمين الله، قال: وهذا أيضاً شيء عجيب.

ثم قلت له ـ وأنا أعلم أنه حاصل على شهادة الدكتوراة في آداب اللغة اليونانية القديمة ـ: ما معنى بيريكلتوس؟ فأجابني بقوله: إن القسس يقولون إن هذه الكلمة معناها «المعزى» فقلت: إني أسأل الدكتور «كارلونلينو» الحاصل على الدكتوراة في آداب اللغة اليونانية القديمة ولست أسأل قسيساً! فقال: إن معناها (الذي له حمد كثير) فقلت: هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد؟ فقال: نعم، فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسمائه (أحمد) فقال: يا أخي أنت تحفظ كثيراً، ثم افترقنا، وقد ازددت بذلك تثبتاً في معنى قوله تعالى حكايةً عن المسيح: ﴿ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾. انتهىٰ.

أين الإنجيل الحقيقي الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام؟

هذه الأناجيل[١] الأربعة المعتمدة عن النصارى ليست نازلة على عيسى عليه السلام في نظرهم، وليست منسوبة له، ولكنها ـ كما أسلفنا ـ منسوبة لبعض تلاميذه، ومن ينتمي إليهم، وهي تشتمل ـ كما أسلفنا أيضاً ـ على أخبار المسيح وقصصه، ومحاوراته، وخطبه، وابتدائه، ونهايته في الدنيا كما يعتقدون، أما الإنجيل الحقيقي الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام، وسلمه إلى تلاميذه، وأمرهم أن يبشروا به لا يوجد الآن.

ولكن الشواهد كثيرة من نفس أناجيلهم ورسائلهم القانونية التي تسلم بها الكنيسة على أن المسيح أتاهم به، وإليك طرفاً من هذه النصوص:

ـ «..(١٥) وقال ـ أي المسيح ـ لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا **بالإنجيل** للخليقة كلها». [إنجيل مرقس: الإصحاح ١٦].

ـ «..(١٤) وبعد ما أسلمه يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز **ببشارة ملكوت الله**[٢]

---

(١) إنجيل: من اللفظ اليوناني «أونجليون» ومعناه: خبر طيب. انتهىٰ. من «قاموس الكتاب المقدس»، ص١٢٠.

(٢) قال الشيخ أبو زهرة في «محاضرات في النصرانية»: تجد في هذه الأناجيل عبارات تذكر كلمة إنجيل أو بشارة ـ وهي ترجمة لكلمة إنجيل باليونانية ـ مضافاً أحياناً إلى المسيح على أنه ابن الله، وأحياناً إلى الله، وأحياناً إلى ملكوت الله. انتهىٰ.

(١٥) ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا **بالإنجيل**». [إنجيل مرقس: الإصحاح الأول].

ـ «(٢٣) وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة **الملكوت**» [إنجيل متى: الإصحاح الرابع].

وفي رسائل بولس القانونية التي تسلم بها الكنيسة هذه الشواهد:

ـ «(١) بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولاً المفرز **لإنجيل الله** ». [رسالة بولس لأهل رومية: الإصحاح الأول].

ـ «(٨) فأولاً أشكر إلهي يسوع المسيح من جهة جميعكم أن إيمانكم ينادى به في كل العالم (٩) فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي كيف بلا انقطاع أذكركم.. ». [رسالة بولس لأهل رومية: الإصحاح الأول].

ـ «(١٦) لأني لست أستحي **بإنجيل المسيح** لأنه قوة الله للخلاص..». [رسالة بولس لأهل رومية: الإصحاح الأول].

ـ «(٣) ولكن إن كان إنجيلنا مكتوماً فإنما هو مكتوم في الهالكين». [رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس: الإصحاح الرابع].

ـ «(١٨) وأرسلنا معه الأخ الذي مدحه في الإنجيل في جميع الكنائس». [رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس: الإصحاح الثامن].

ـ «(٦) إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر (٧) ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح». [رسالة بولس لأهل غلاطية: الإصحاح الأول].

ـ «(١١) وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذي بشرت به إنه ليس بحسب إنسان (١٢) لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته، بل بإعلان يسوع المسيح». [رسالة بولس لأهل غلاطية: الإصحاح الأول].

ـ «(١٣) الذي فيه أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم الذي فيه أيضاً إذا آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس..». [رسالة بولس لأهل أفسس: الإصحاح الأول].

ـ «(١٥) وحاذين أرجلكم بإستعداد إنجيل السلام». [رسالة بولس لأهل أفسس: الإصحاح السادس].

ـ «(١٣) ثم أريد أن تعلموا أيها الأخوة أن أموري قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل (١٧) فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح». [رسالة بولس لأهل فيلبي: الإصحاح الأول].

ـ «(٥) من أجل الرجاء الموضوع لكم في السموات الذي سمعتم به قبلاً في كلمة حق الإنجيل». [رسالة بولس لأهل كولوسي: الإصحاح الأول].

ـ «(٨) هكذا إذ كنا حانين إليكم كنا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط، بل أنفسنا أيضاً لأنكم صرتم محبوبين إلينا (٩) فإنكم تذكرون أيها الأخوة تعبنا وكدنا، إذ كنا نكرز لكم بإنجيل الله». [رسالة بولس الأولى لأهل تسالونيكي: الإصحاح الثاني].

ـ «(١١) حسب إنجيل مجد الله المبارك الذي اؤتمنت عليه...». [رسالة بولس الأولى لأهل تيموثاوس: الإصحاح الأول].

ـ «(٨) أذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود بحسب إنجيلي». [رسالة بولس الثانية لأهل تيموثاوس: الإصحاح الثاني].

يقول الأستاذ أبو زهرة تعليقاً على بعض هذه الشواهد:

«ولا شك أن الإنجيل المذكور في كل هذا ليس واحداً من هذه الأناجيل؛ لأنها تضاف إلى أصحابها باتفاق النصارى، ولأن المسيح قد وعظ بهذا الإنجيل، كما جاء في عبارة متّىٰ التي نقلناها، ولم يكن واحد من هذه الأناجيل قد وجد في عهده بالاتفاق، وليس من المعقول أن يعظ بأقوال تلاميذه وهم بعد لا يزالون في دور التعلم! ولأن هذا الإنجيل قد ذكر في هذه الأناجيل على أنه كان قائماً في عهد عيسىٰ، ولأنه ذكر من غيرنسبة كما جاء في «إنجيل مرقس» ورسالة بولس الأولى إلى أهل (كورنثوس)، وليس واحد من هذه الأربعة تنصرف إليه كلمة إنجيل من غير نسبته إلى صاحبه، ولأنه ذكر في رسالة بولس إلى أهل رومية منسوباً إلى المسيح الابن، وليس واحد من هذه الأناجيل يستحق هذا الاسم.

لهذا كله نقول: ليس هذا الإنجيل واحداً منها كما تقضي بذلك طبيعة السياق، وكما يقضي بذلك العقل، وإذا كان الأمر كذلك، فهل لنا أن نفهم أن هناك إنجيلاً أصيلاً نزل على عيسى وكرز به ـ على حد تعبيرهم ـ ووعظ، ويعتبر الأصل لهذه الديانة؟!». انتهىٰ.

* * *

رسائل الرسل

أو: بقية أسفار العهد الجديد

تمثل الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين المجموعة الأولى من أسفار العهد الجديد، وهي في نظرهم أهم مجموعاته:

أما بقية أسفار هذه العهد، وهي رسائل رسلهم، وعددها (٢٣) ثلاث وعشرون رسالة فتمثل المجموعة الثانية بعد الأناجيل.

وهذه الرسائل يسمونها ـ ما عدا رسالة أعمال الرسل ـ الأسفار التعليمية، لأنها تعني بالناحية التعليمية التي تبين بها الديانة.

كما يسمون الأناجيل الأربعة ورسالة أعمال الرسل: الأسفار التاريخية، لأن الموضوع الأساسي للأناجيل هو تاريخ حياة المسيح من المبدأ إلى الصعود، والموضوع الأساسي لرسالة أعمال الرسل هو تاريخ الحواريين (أو التلاميذ الاثني عشر)، وتاريخ بولس الذي انضم إليهم فيما بعد، وتاريخ طائفة ممن كان لهم أثر كبير في المسيحية كبرنابا ومرقص.

صحيح أن كل سفر من هذه الأسفار يعرض ـ في ثنايا ما يذكر من تاريخ ـ لكثير من شؤون العقيدة والشريعة، ولكنه يتناول هذه الأمور عرضاً وبمقدار اتصالها بموضوعه الأساسي وهو التاريخ.

وبيان هذه الرسائل كالآتي:

ـ رسالة أعمال الرسل للوقا.

ـ رسائل بولس، وعددها أربعَ عشرةَ رسالة: رسالة إلى أهل رومية، ورسالته الأولى والثانية إلى أهل كورنثوس، ورسائله إلى أهل غلاطية، وأهل أفسى، وأهل فيلبي، وأهل كولوسي، ورسالته الأولى والثانية إلى أهل تسالونيكي ورسالته الأولى والثانية إلى أهل تيموثاوس، ورسائله إلى أهل تيطس، وفليمون، والعبرانيين.

ـ الرسائل الكاثوليكية، وعددها سبع رسائل: رسالة يعقوب، ورسالتا بطرس الأولى والثانية، ورسائل يوحنا الثلاث، ورسالة يهوذا.

ـ رؤيا يوحنا (أو السفر النبوي).

* * *

سفر أو رسالة أعمال الرسل

تمهيد:

معنىٰ كلمة (أعمال) هو: تاريخ حياتهم، أو ما عملوه، وما أثر عنهم.

وكلمة (الرسل) معناها في اصطلاح المسيحيين: الحواريون أو التلاميذ الاثني عشر، لأنهم يعتقدون أن هؤلاء أرسلهم الرب ـ وهو عيسىٰ ـ إلى مختلف شعوب العالم لنشر المسيحية بين الناس.

وقد ضُمَّ إليهم ـ فيما بعد ـ الرسول بولس الذي ظهر له المسيح بعد رفعه، على حد ما يعتقده المسيحيون، وأرسله إلى الأمم الضالة لهدايتهم.

كما يعرض السِّفْر لتاريخ طائفة ممن كان لهم أثر كبير في المسيحية كبرنابا ومرقص.

وأبرز شخصية في القسم الأول من السفر هي شخصية بطرس، وأما الشخصية البارزة في القسم الثاني من السفر فهي شخصية بولس.

ولكن السفر يذكر شخصيات، وأعمال غيرهما من الرسل في مناسبات عدة (انظر أعمال ١ : ٢٣ ـ ٢٦، ٢ : ٤٢، ٤ : ٣٣، ٥ : ١٢، ٢٩، ٦ : ٢، ٨ : ١ ـ ٢٤، ١٥ : ٦ ـ ٢٣).

وينسب هذا السفر للقديس لوقا صاحب الإنجيل الثالث الذي تحدثنا عنه.

وقد كتبه باللغة اليونانية حوالي سنة ٦٣ على أرجح الأقوال، أي في العصر نفسه الذي كتب فيه إنجيله.

وتدل العبارة التي افتتح بها رسالته أنه كتبها للشخص نفسه الذي كتب له إنجيله، وهو ثيوفيلوس[١]، فهو يفتتح رسالته بهذه العبارة: «الكلام الأول (يقصد إنجيله الذي كتبه لهذا العظيم نفسه) أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع لفعله ويعلم به إلى اليوم الذي ارتفع فيه بعد ما أوحى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم الذين أراهم أيضاً نفسه حيّاً ببراهين كثيرة بعد ما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوماً، ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله ...».

وموضوعه تاريخ حياة الحواريين أو التلاميذ الاثني عشر، وتاريخ بولس الذي انضم إليهم فيما بعد، كما يعرض السفر لتاريخ طائفة ممن كان لهم أثر كبير في المسيحية كبرنابا ومرقس، كما أوضحنا سابقاً.

جاء في كتاب الدكتور علي عبد الواحد وافي عن «الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام»ص٩٠، ٩١: وهو ـ أي لوقا ـ في سفر أعمال الرسل يتناول شخصياته في مختلف شؤون حياتهم، وخاصة ما تعلق منها بالناحية الدينية، كجهادهم وتقلبهم في البلاد لنشر المسيحية، وما أحرزوه من نجاح في هذا السبيل، وما أظهر على أيديهم من معجزات، وما لا قوه من عنتٍ وعذابٍ واستشهاد.

وفي ثنايا هذا العرض التاريخي يتحدث عن كثير من العقائد والشرائع التي كان ينشرها هؤلاء بين الناس.

---

(١) معناه: (حبيب الله)، يرجح أنه كان مسيحياً أممياً له مركز مهم في الامبراطورية الرومانية. «قاموس الكتاب المقدس»، ص٨٧.

وقد عني لوقا بوجه خاص في كتابه هذا بتاريخ حياة بولس وجهاده في سبيل نشر المسيحية وما ظهر على يديه من معجزات، حتى لقد وقف عليه وحده ما يزيد على نصف صفحات كتابه.

هذا، ويذكر التاريخ المسيحي أسفاراً أخرى قديمة عرضت للموضوع نفسه الذي عرض له هذا الكتاب وسميت باسمه، من أشهرها سفر (أعمال الرسل) لبرنابا، ولكن الكنيسة المسيحية اعتمدت هذا الكتاب وحده، وهو سفر أعمال الرسل للوقا، وفضت ما عداه من الأسفار القديمة التي عرضت لموضوعه نفسه وحكمت بزيفها وعدم صحة نسبتها إلى من تنسب إليهم من الحواريين والتلاميذ، أي اعتبرتها من الأسفار الخفية حسب الاصطلاح المسيحي، كما حكمت الحكم نفسه على ما عدا الأناجيل الأربعة من الأناجيل التي كانت معروفة لدى المسيحيين في عهودهم الأولى، ومن أجل ذلك بقي سفر (أعمال الرسل) للوقا، وانقرض ما عداه من الأسفار القديمة التي عرضت لما عرض له، فلا يحدثنا التاريخ المسيحي إلا عن أسمائها، ولا نكاد نعلم شيئاً يعتد به عن مبلغ الخلاف بينها وبين سفر لوقا، وإن كان من الممكن أن نستنتج في ضوء ما ذكرناه عن إنجيل برنابا ومبلغ الخلاف بينه وبين الأناجيل الأربعة، أن سفر (أعمال الرسل) الذي ينسب إلى برنابا لا بد أن يكون كذلك مختلفاً في قصصه التاريخي اختلافاً كبيراً عن سفر (أعمال الرسل) للوقا. انتهى.

* * *

رسائل بولس

تمهيـد: كلمة عن بولس

كان يهودياً من الفريسيين على أرجح الأقوال، وكان مولده في طرسوس في ولاية كيليكية من أعمال الإمبراطورية الرومانية حيث قضىٰ مدة طفولته.

وكان اسمه العبري: شاول، أي: مطلوب، ودُعي بولس أيضاً، ومعناه: الصغير. «قاموس الكتاب المقدس» (١: ٩٦).

وكسائر صبيان اليهود تعلم حرفةً يلجأ إلى الاكتساب منها إذا احتاج، وكانت الحرفة التي تعلمها بولس: صناعة الخيام.

ولما أتم تحصيل ما يمكن تحصيله في طرسوس، أُرسل إلىٰ أورشليم عاصمة اليهودية ليبحَّر في الناموس.

وكان في صدر حياته من ألد أعداء المسيحية، ومن أشدهم حرباً عليها، وأبلغهم كيداً لها، وأكثرهم إمعاناً في أذى معتنقيها، ويقتحم بيوتهم، ويغير عليهم في الطريق، ويسوقهم موثقين إلىٰ السجون وساحات التعذيب، يدل على ذلك ما جاء في سفر الأعمال في مواضع كثيرة منه:

ففي الإصحاح الثامن منه: «وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم فتشتت الجميع في كُوَرِ اليهودية والسامرة ما عدا الرسل، وحمل رجال

أتقياء إستفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة. وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة، وهو يدخل البيوت، ويجر رجالاً ونساءً ويسلمهم إلى السجن».

وجاء في أول الإصحاح التاسع منه: «أما شاول فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات، حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً أو نساءً يسوقهم موثقين إلى أورشليم».

ويجيء في نفس السفر اعترافه الصريح بذلك الماضي في مواضع متعددة أيضاً، فمنها ما جاء في الإصحاح الثاني والعشرين مخاطباً اليهود: «كنت غيوراً لله كما أنتم جميعكم اليوم، واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيِّداً ومسلماً إلى السجون رجالاً ونساءً كما يشهد لي أيضاً رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين إذ أخذت أيضاً منهم رسائل للإخوة إلى دمشق ذهبتُ لآتي بالذين هنا له إلى أورشليم مقيدين لكي يعاقبوا».

جاء في كتاب «محاضرات في النصرانية» لفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة، ص ٧٤: «ولكن سفر الأعمال يقول إن ذلك الرجل الذي كاد للمسيحية هذا الكيد، وآذى أهلها ذلك الإيذاء، قد انتقل من الجبت والطاغوت إلى المسيحية فجأة من غير مقدمات تقدمت ذلك الانتقال، ولا تمهيدات مهدت له، فيقول في الإصحاح التاسع: «في ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق، فبغتة أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض، وسمع صوتاً قائلاً له: شاول، شاول .. لماذا تضطهدني؟ صعبٌ عليك أن ترفس مناخس، فقال وهو مرتعد متحير: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم ادخل المدينة، فيقال لك ما ينبغي أن تفعل».

دخل بولس أو شاول في المسيحية، وحاول أن يتصل بتلاميذ المسيح، ولكنهم أوجسوا منه خيفة، ولم يصدقوا إيمانه، ولكن شهد له برنابا الذي حدثناك عنه بالإيمان، وما حدث له في الطريق، فقد جاء في الإصحاح التاسع أيضاً من السفر المذكور: «ولما جاء

شاول حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غير مصدِّقين، فأخذه برنابا، وأحضره إلى الرسل، وحدثهم كيف أبصر الرّبّ، وأنه كلمه، وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع. ومن ذلك الوقت صار بولس القوة الفعالة والحركة الدائبة في الدعاية للمسيحية، كما تدل على ذلك عبارات سفر الأعمال، وقد اصطحب في رحلاته برنابا، حتى اختلفا ـ كما ذكرنا في الكلام على برنابا ـ فلما اختلفا افترقا، وهناك نجد حلقة مفقودة، فلم يبين لنا سفر الأعمال على مَن تلقىٰ مبادئ المسيحية التي أخذ يشربها، والتي دونها في رسائله الأربع عشرة، والتي يضيف إليها بعض الكتّـاب (سفر الأعمال)، وينسبه إليه بدل نسبته إلى لوقا؟

لم تبين لنا الكتب المسيحية على من تلقى مبادئ المسيحية، ولعلهم يعتقدون أنه ليس في حاجة إلى التلقي، لأنه انتقل من مرتبة الكافر المناوئ إلى مرتبة الرسل في المسيحية، وصار ملهماً ينطق بالوحي في اعتقادهم، فلم يكن في حاجة إلى التعلم والدراسة، لأن الوحي كفاه مؤونة الدرس وتعبه.

لقد أخذ بولس في الطواف في الأقاليم ينشئ الكنائس ويقوم بالدعاء، ويلقي الخطب، وينشئ الرسائل. حتى كانت رسائله هي الرسائل التعليمية بما اشتملت عليه من مبادئ في الاعتقاد، وبعض الشرائع العملية، وقد قالوا إنه قتل في اضطهادات نيرون سنة ٦٦ أو سنة ٦٧ على الخلاف في ذلك. انتهىٰ.

رسائل بولس:

ويُنسب إلى بولس أربعة عشر سفراً من أسفار العهد الجديد، تسمى (رسائل بولس)، كتبها كلها في الأصل باللغة اليونانية، في أزمنة مختلفة، وهي كالآتي:

ـ رسالته إلى أهل تسالونيكي الأولى والثانية في سنة ٥٢، ٥٣ مسيحية في

كورنثوس.

ـ رسالته إلى أهل غلاطية في سنة ٥٦ ـ ٥٧ مسيحية في أفسس.

ـ رسالته إلى أهل كورنثوس الأولى والثانية في سنة ٥٧، ٥٨ مسيحية في أفسس ومكدونية.

ـ رسالته إلى أهل رومية في سنة ٥٨ مسيحية في كورنثوس.

ـ رسالته إلى أهل كولوسي وأفسس وفيلبي وفليمون سنة ٦١ ـ ٦٣ مسيحية في رومية.

ـ رسالته إلى العبرانيين (على قول البعض) سنة ٦٤ مسيحية من إيطاليا.

ـ رسالته إلى تيموثاوس الأولى، ورسالته إلى تيطس بين سنة ٦٤ وسنة ٦٦ مسيحية من مكدونية.

ـ رسالته الثانية إلى تيموثاوس سنة ٦٧ مسيحية من رومية[١].

وهي تعرض في صورة مفصلة لكثير من عقائد الديانة المسيحية وشرائعها وعباداتها وأخلاقها، وتوجه قسطاً كبيراً من عنايتها إلى توضيح العقيدة وتقرير ألوهية المسيح ونبوته ومبدأ التثليث.

ومن أجل ذلك تعتمد المسيحية الحاضرة على رسائل بولس أكثر من اعتمادها على ما عداها من أسفار العهد الجديد، وتنسب هذه المسيحية إلى بولس أكثر مما تنسب إلى سواه، حتى إن كلمة (الرسول) إذا أطلقت تنصرف عندهم إليه وحده.

صحيح أن الأناجيل نفسها وسفر أعمال الرسل قد عرضت كذلك للعقائد والشرائع والأخلاق، ولكنها عرضت لهذه الأمور في صورة مجملة وفي ثنايا قصصها

---

(١) «قاموس الكتاب المقدس» (١ : ١٩٩).

التاريخي عن المسيح وأنصاره، وبعض ما ذكرته عن هذه الأمور قد أوردته في عبارات غامضة يعوزها الشرح والتوضيح، على حين أن رسائل بولس قد جعلت هذه الأمور موضوعها الأصيل، وعالجتها في صورة مفصلة واضحة، وكانت صريحة كل الصراحة في إثبات ألوهية المسيح، وبنوته لله وعقيدة التثليث.

هذا ولم تعتمد الكنيسة هذه الرسائل جميعاً إلا في سنة ٣٦٤، أما قبل ذلك فكان بعض هذه الرسائل موضع شك في صحة نسبته إلى بولس عند كثير من المسيحيين، حتى أن مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٠ (هو من أكبر مجامعهم المسكونية) أي: التي اجتمع فيها ممثلون لجميع بلاد العالم المسيحي) لم يعترف برسالة بولس إلى العبرانيين واعتبرها مزيفةً مدسوسةً عليه.

وقد ظهر للمحدثين من علماء المسيحية المشتغلين في الوقت الحاضر بشؤون ديانتهم وأسفارها أن من هذه الرسائل ثلاث رسائل موثوق بصحتها وصحة نسبتها إلى بولس، وهي: رسالته إلى الرومان، ورسالتاه إلى أهل كورنثوس، وأربع رسائل مقطوع بعدم صحة نسبتها إليه وهي: رسالتاه إلى أهل إفسُس، ورسالتاه إلى تيموتاوس، ورسالته إلى تيلمي، وأما ما بقي من هذه الرسائل فمشكوك في صحة نسبتها إليه». انتهى[١].

* * *

(١) ما بين القوسين من كتاب: «الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام» للدكتور علي عبد الواحد وافي.

الرسائل الكاثوليكية

وهي رسالة ليعقوب، ورسالتان لبطرس، وثلاث رسائل ليوحنا، ورسالة ليهوذا.

وتدعى بالرسائل الكاثوليكية، أي: الجامعة، لأنها لم توجه إلى جماعة مفردة من المسيحيين، بل إلى الكنيسة المسيحية جمعاء، ومع أن رسالتي يوحنا الثانية والثالثة موجهتان إلى أفراد فقد اعتبرتا من الرسائل الجامعة لارتباطهما الطبيعي برسالته الأولى (ق/ ج٢ / ص ١١١٢).

*** رسالة يعقوب:**

هي أولى الرسائل الشاملة الجامعة الموجهة إلى الكنيسة كلها، لا إلى جماعة مفردة من المسيحيين.

كتبها يعقوب (أخو الرب المسيح في اعتقادهم) الذي ذكره بولس كواحد من الرسل (غل ١ : ١٩)، وأنه راعي كنيسة أورشليم الذي ذكره لوقا في (ع١٢ : ١٧، ١٥ : ١٣، ٢١ : ١٨) وأنه هو المذكور مع أخوةِ الرب: يوس وسمعان ويهوذا، واحداً منهم (مت ١٣ : ٥٥، ومر ٦ : ٣).

وأنه كان ذا مقام رفيع في مجمع الرسل والمشيخة في أورشليم (١ع ١٥ك ١٣ ـ ٢١) وقد عده بولس مع الرسل (غل ١ : ١٩) حاسباً إياه بمرتبة بطرس ويوحنا ـ وهما عمودان في الكنيسة الأولى ـ ذاكراً إياه أولَ الثلاثة (غل ٢ : ٩).

وكتبت هذه الرسالة باللغة اليونانية بين سنة ٥٠ – ٦٠.

وهي تنطوي على حكم ونصائح أدبية للسلوك المسيحي، ومواضيعها الرئيسية هي:

١ـ الصبر عند المصائب، وفائدة التجارب، والعمل بالكلمة (ص١).

٢ـ الإيمان الحي يظهر في أعمال المحبة (ص٢٩).

٣ـ وجوب ضبط اللسان وتوثيق عرى السلام (ص٣).

٤ـ التحذير من خدمة الله والمال في آن واحد، وأهمية الصلاة (ص٤، ٥)[١].

* رسالة بطرس الرسول الأولى:

تمهـيد:

بطرس: اسم يوناني معناه: صخرة أو حجر.

وكان هذا الرسول يسمى أولاً: سمعان، فلما تبع المسيح سماه بهذا الاسم.

واسم مدينته: بيت صيدا، وكانت مهنته: صيد السمك.

ويرجح أن بطرس كان تلميذاً ليوحنا المعمدان قبل مجيئه إلى المسيح، وقد جاء به إلى يسوع أخوه إندراوس واحد من تلميذَي يوحنا المعمدان المقربَيْن إليه.

وقد دعا يسوع بطرس ثلاث مرات:

فأولاً: دعاه ليكون تلميذاً.

ودعاه **ثانية** لكي يكون رفيقاً له ملازماً إياه باستمرار.

ثم دعاه **ثالثة** لكي يكون رسولاً له.

---

(١) «قاموس الكتاب المقدس» (٢: ١٠٧٦ ـ ١٠٧٧).

وبعد المسيح، واصل رحلاته التبشيرية وزوجته معه من مكان لآخر، فذهب إلى أنطاكية وغيرها، ثم ذهب إلى رومية سنة ٦٥، فقبض عليه وزج به في السجن، وحكم عليه بالموت صلباً في زمن نيرون، وقد طلب أن يصلبوه منكساً حتى لا يتشبه بالمسيح.

وهو الذي أنكر المسيح ثلاث مرات عند محاكمته، وأخذ يلعن ويحلف أنه لا يعرفه (متى: ص ٢٦ ع ٦٩ - ٧٥).

وجاء في كتاب «مروج الأخبار في تراجم الأبرار»: «أن مرقس كان ينكر ألوهية المسيح، هو وأستاذه بطرس الحواري».

ورسالته الأولى كتبها باليونانية بين سنتي ٦٣- ٦٧، وقد كتبت على الأرجح من رومية. وأن محتوياتها:

ـ الرجاء المسيحي بقيامة المسيح من بين الأموات.

ـ الأمن والاطمئنان بالرغم من الاضطهاد، والصبر على احتماله.

ـ الحث على حياة تليق بالرجاء.

ـ توجهاته بقصد الوصول إلى الخُلُق المسيحي السامي[١].

*** رسالة بطرس الثانية:**

هذه رسالة رعوية موجهة إلى المسيحيين في كل مكان لتحذرهم ضد التعاليم الزائفة، ولتحثهم أن يتمسكوا بالإيمان ويثبتوا فيه.

ويقول كاتب هذه الرسالة عن نفسه أن سمعانَ بطرس عبدُ يسوع المسيح ورسوله (١: ١ و ٣: ١).

---

(١) انظر: «قاموس الكتاب المقدس» (٢: ١٧٧ ـ ١٧٨).

وأنه كان مع المسيح فوق جبل التجلي (١ : ١٧) والذي أنبأ الرب يسوع باستشهاده (٢ بط ١ : ١٤).

أما من جهة تاريخ كتابتها، فيظهر أن في (ص١: ١٤) تلميحاً إلى أنها كتبت قبل استشهاد الرسول في روما مباشرة، فيمكن أن تكون قد كتبت والحالة هذه سنة ٦٨ ميلادية.

«إلا أن النقاد غير متفقين من جهة كاتبها، ومن جهة تاريخ كتابتها، فيقولون إن أسلوب الرسالة ليس بالأسلوب البسيط، وهي تخالف الرسالة الأولى في أسلوبها، وقد بدأ النقاد من عصر جيروم يأخذون اختلاف الأسلوب هذا دليلاً على اختلاف الكاتب، ثم يقولون أيضاً بشكهم في أن رسائل الرسول بولس كانت متداولة قبل موت بطرس الرسول إلى الحد الذي يفهم من نص هذه الرسالة، ثم يقولون إن الكنيسة الأولى في بعض أجزاء العالم القديم لم تكن متثبتة متحققة من جهة كاتب هذه الرسالة (قارن ما جاء في تاريخ يوسابينوس الكنسي بخصوص هذا، ولم تدخل الرسالة ضمن مجموعة أسفار العهد الجديد في الكنيسة السريانية إلا في القرن السادس». انتهى[1].

*** رسائل يوحنا الثلاث:**

رأينا في العهد الجديد خمسة أسفار نسبت إلى يوحنا، وهي:

البشارة الرابعة (الإنجيل الرابع)، والرسائل الثلاث، وسفر الرؤيا، وقد سبق الكلام عن الإنجيل الرابع، ومدى صحة نسبته إلى يوحنا ابن زبدى أحد الحواريين الإثنى عشر.

---

(١) من المرجع السابق (١: ١٧٨).

ويوحنا هذا من بيت صيدا في الجليل، دعاه يسوع من أخيه يعقوب الذي قتله هيرودس أغريباس الأول، ليكونا من تلاميذه (مت ٤: ٢١ و اع ١٢: ١، ٢).

ودعي دون غيره بـ (التلميذ الحبيب).

وكان أحد الرسل الثلاثة الذين اصطفاهم يوسع ليكونوا رفقاءه الخصوصيين، وهم: بطرس ويعقوب ويوحنا.

وكان وأخوه حادَّي الطبع سريعَي الانفعال والغضب (مر ٩: ٣٨ ولو ٩: ٥٢ ـ ٥٦) فلقبهما يسوع بوانجرس) أي: ابني الرعد أو الغضب (مر٣ : ١٧).

وقد نفي في الاضطهاد الذي حدث في حكم دوميتانوس العاهل الروماني إلى جزيرة بطمس، وعندما تبوأ نيرفا العرشَ سنة ٩٦ ب. م أطلق سراحه، فرجع إلى أفسس، وبقيَ بها حتى وفاته في حكم تراجان (٩٨ ـ ١١٧ ق.م)، ويقال أنه توفي سنة ٩٨ ب.م[١].

جاء في «قاموس الكتاب المقدس» (٢: ١١١٢): ومما يستحق الذكر بشأن رسائل يوحنا الثلاث أن اسم كاتبها لم يذكر فيها على الإطلاق، إلا أن الكاتب في الرسالتين الثانية والثالثة يسمي نفسه (الشيخ) وهذا مما حمل البعض على الاعتقاد بأنه (يوحنا الشيخ) الذي عاش في أفسس حوالى ختام القرن الأول المسيحي، ومن الأرجح أن يوحنا الشيخ هذا هو نفس يوحنا الرسول. انتهىٰ.

والرسالة الأولى ـ وهي أطول الثلاث ـ مقالةٌ أو عظةٌ أكثر منها رسالة، وقد كتبت لدحض البدع، وإظهار الضلالات في الكنيسة عامة، وشرح العقيدة المسيحية من وجهة نظره.

---

(١) انظر: «قاموس الكتاب المقدس» (٢: ١١٠٨-١١١٠).

ويمكن تقسيم الرسالة على النحو التالي كما جاء في «القاموس» (٢: ١١١٣).

ــ عنوان الرسالة وآياتها (١: ١ ـ ٤).

ــ ماهية المسيحية (١: ٥ ـ ٢: ٢٨).

ــ الحياة مع الله (٢: ٢٩ ـ ٤: ١٢).

ــ يقينية الإيمان (٤: ١٣ ـ ٥: ١٣).

ــ خاتمة الرسالة (٥: ١٤ ـ ٢٤).

وأما الرسالة الثانية: فكاتبها يوحنا الشيخ، وموجهة إلى السيدة (كير به)، أي: السيدة المختارة، وأولادها.

والمقصود بكتابتها تنشيط المكتوب إليهم، وتثبيتهم في تعليم المسيح الحقيقي من وجهة نظر كاتبها.

جاء في «قاموس الكتاب المقدس» (٢: ١١١٣):

ويمكن تلخيصها على النحو التالي:

ــ تحيات رسولية إلى السيدة وأولادها، ومدح محبتهم الصادقة، وإيمانهم الراسخ (ع١ ـ ٦).

ــ ضرورة التيقظ والحذر من المضلين والتمسك بتعليم المسيح (ع ٧ ـ ١١).

ــ خاتمة الرسالة (ع ١٢ ـ ١٣). انتهىٰ.

وأما الرسالة الثالثة:

أظن أن هذه الرسالة كتبت إلى غايس الكورنثي المذكور في رسالة رومية (ص ١٦: ٢٣) وفي الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (ص١: ١٤)، والظاهر أنه كان عضواً غنياً في كنيسة كورنثوس، وأنه أنفق من ماله على نشر الإنجيل (انظر ٦ ـ ٨).

ويحتمل أن المراد شخص آخر بهذا الاسم الذي كان شائعاً يومئذ، وكاتب الرسالة يمتدح غايس على تقواه ومعروفةً للإخوة الغرباء، ويحرضه على الثبات في الإيمان وعلى المواظبة على عمل الخير...). انتهى[١].

وجاء أيضاً في القاموس (٢: ١١١٤):

وهذه الرسالة تنطوي على:

ـ محبة كاتب الرسالة (فايس) ومدحه إياه على رسوخه في الإيمان (ع١ ـ ق).

ـ مدح سخائه على المبشرين المحتاجين الذي بذلوا قصاراهم في بث الإنجيل بين الأمم (ع٥ ـ ٨).

ـ الشكوى من تصرف ديوتنفس المضر للكنيسة، وتحذيره من الاقتداء به وتوصيته بديمتريوس، وتحيات ختامية (ع ٩ ـ ١٥) . انتهى.

*** رسالة يهوذا:**

إحدى الرسائل الكاثوليكية، أي: الجامعة، السبع التي أطلق عليها هذا الاسم، لأنها لم توجه إلى جماعة معينة من المسيحيين بوجه الخصوص، بل إلى الكنيسة كلها على وجه العموم.

وقد ذكر كاتبها أنه أخو يعقوب، ويرجح أنه أحد الذين يسمون في العهد الجديد: إخوة الرب (مت ١٣: ٥٥ ومر ٩: ٣).

ولا يدعي كاتب الرسالة أنه رسول (ع١٧) وإن كان حوارياً وأحد الاثني عشر (لو ٦: ١٦)، ويقولون إنه يدعى لباوس وتداوس (مت ١٠: ٣) وتداوس (مر ٣: ١٨) ويهوذا ليس الأسخربوطي الذي شهد على المسيح وخانه (يو ٤: ٢٢).

---

(١) «قاموس الكتاب المقدس» (٢: ١١١٤).

وعلى أية حال فليهوذا هذا رسالةٌ منسوبةٌ إليه، وقد قالوا إنه مات شهيداً ببلاد العجم.

وكان المقصود من الرسالة ـ كما جاء في «قاموس الكتاب المقدس» (٢: ١٠٩٢) ـ تحذير المؤمنين من المعلمين المضلين الذين ظهروا في الكنيسة في عصر الرسل، وكان يعتقدون أن الخلاص بالمعرفة دون الإيمان، وفصلوا الروح عن المادة، وهم ما يعرف بمذهب العارفين.

وتذكيرهم بدينونة الله للأشرار والمعلمين المضلين الذين يدنسون أجسادهم ويزدرون بالجلال الإلهي (ع ٥ ـ ١٩).

وحث المؤمنين أن يجتهدوا في بنيان أنفسهم بواسطة فاعلية الروح القدسي، وأن يشفقوا على الذين هم في خطر الكفر وينقذوهم.

وختم الرسالة بتمجيد الله مخلِّصنا (ع ٢٠ ـ ٢٥) . انتهىٰ.

* رؤيا يوحنا اللاهوتي (أو السِّفْر النبوي):

هي رؤيا منامية، يسمونها (السفر النبوي)، نسبت رؤيتها إلى يوحنا الرسول صاحب الإنجيل الرابع، وكتبها باللغة اليونانية، وكان تأليفها على أرجح الآراء في عهد الأمبراطور دوميسيان (إمبراطور الدولية الرومانية الغربية من سنة ٨١ إلى سنة ٩٦م).

وهذه الرسالة في منحاها ومنهجها تخالف الرسائل السابقة، فبينما الرسائل السابقة وعظية تعليمية في جملتها، وتتعرض كثيراً لذكر نبوة المسيح، وتخليصه للعالم من خطيئته، وتجد رسالة رؤيا يوحنا اللاهوتي تُعنىٰ ببيان ألوهية المسيح وسلطانه في السماء، وإشرافه على شؤون الكنيسة، وعلمه بجميع أحوالها، والقوّامين عليها من بعده.

وهي تارة تصوره في عليائه كشيخ أشيب، متسربلاً بثوب إلى الرجلين ومتمنطقاً

عند ثديه بمنطقة من ذهب، وعيناه كلهيب نار، ورجلاه شبه النحاس النقي كأنهما محميتان في أتون، وصوته كصوت مياه كثيرة، ومعه في يده اليمنى سبعة كواكب وسيفٌ ماضٍ ذو حدين يخرج من فيه[١].

وتارةً تصوره في صورة خروف قائم كأنه مذبوح، له سبعة قرون، وسبع أعين، هي سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض[٢].

كما تبين الرؤيا أعمالَ الملائكة في السماء وخضوعهم للمسيح.

وتقرر أن الناسَ سيبعثون يوم القيامة ويعرضون على المسيح، وأنه هو الذي سيتولى حسابهم على أعمالهم، فيجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

وتذكر طائفةً من الأحداث التي ستحصل في العالم الإنساني على العموم، وفي العالم المسيحي بوجه خاص، وتذكر هذه الأحداث في صور رمزية مبهمة.

يقول الدكتور علي عبد الواحد: «هذا، ولم تعتمد الكنيسة المسيحية هذه الرسالة إلا في سنة ٣٦٣، أما قبل ذلك فكانت هذه الرسالة موضع شك كبير في حقائقها، وفي صحة نسبتها إلى يوحنا الحواري عند كثير من المسيحيين، حتى إن مجمع نيقية نفسه المنعقد سنة ٣٢٥ ـ وهو من أكبر مجامعهم المسكونية ـ رفض الاعترافَ بصحتها، وقد تقدم أن عدداً كبيراً من ثقات الباحثين في الوقت الحاضر يقطع بأن جميع ما ينسب إلى يوحنا من أسفار العهد الجديد، بما في ذلك إنجيل يوحنا نفسه؛ هي أسفارٌ موضوعة ومنسوبة زوراً إلى يوحنا الجواري). انتهى[٣].

---

(١) «رؤيا يوحنا»، ص١، ص ٥.

(٢) «رؤيا يوحنا»، ص١، ص ٥.

(٣) «الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام»، ص٩٦.

شرائع التوراة والمسيحية

جاء في إنجيل متىٰ (ص٥: ع١٧): «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل».

لذا كان المسيحيون الأولون يوجبون على أنفسهم جميع ما أوجبته أسفار العهد القديم، ويحرمون على أنفسهم جميع ما حرمته، أي يعتبرون شريعة موسى شريعة لهم، ويعتبرون أسفارها أسفاراً مقدسة، ولا يستثنون من ذلك إلا ما صرح المسيح نفسه بنسخه أو تعديله.

واستمر المسيحيون على ذلك إلى أن انعقد مجمع أورشليم بعد رفع المسيح بنحو اثنتين وعشرين سنة، وكان هذا أول مجمع يعقد بعد المسيح للنظر في الشريعة، وقد اجتمع فيه التلاميذ وكثير من السابقين الأولين إلى المسيحية، فتقدم يعقوب الصغير إلى المحققين باقتراح يقضي بعدم وجوب الختان الذي أوجبته التوراة على كل ذكر لأن الختان يشق على بعض من يدعونهم إلى المسيحية فيرغبون عنها بسببه، وبالاقتصار على تجريم ثلاثة أشياء من المأكولات التي حرمتها التوراة، وهي: الدم والمنخنقة وما ذبح للأوثان، وإحلال ما عدا ذلك تيسيراً على الناس، ويدخل في باب الحل لحم الخنزير نفسه الذي حرمته أسفار العهد القديم.

ودافع يعقوب عن وجهة نظره دفاعاً قوياً، فأقرَّ التلاميذ والحاضرون اقتراحه

بجميع محتوياته[١].

وبهذا يكون أعضاء هذا المجمع قد حللوا للناس كل ما حرمه الناموس، أي: التوراة، وكتب النبيين السابقين، ولم يجعلوا محرماً عليهم إلا أربعة أمور، والامتناع عنها هو الأمر الواجب فقط، وبذلك حل لهم كل ما حرمته التوراة، حل لهم الخمر ولحم الخنزير، وكل ما كانت التوراة وشرائع النبيين قد حرمته، وبأي شيء أعطى هؤلاء القدرة على التحليل والتحريم، فقد قالوا: إن ذلك بإلهام من روح القدس وتجليه[٢].

* * *

(١) انظر الإصحاح ١٥ من سفر أعمال الرسل.

(٢) من كتابَي: «الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام»، و«محاضرات في النصرانية»، بتصرف.

النصرانية كما هي عند النصارى وفي كتبهم

تطلق النصرانية على الدين الذي أتى به عيسى الناصري بن مريم عليهما السلام إلى بني إسرائيل منذ أكثر من ألفي سنة، وقد بُني على الأصول التي قررها مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥م، ومجمع القسطنطينية الأول المنعقد سنة ٣٨١م، وهي:

١ ـ الإيمان بإله واحد «آب واحد» ضابط الكل، خالق السماء والأرض، صانع ما يُرى وما لا يرى.

٢ ـ الإيمان برب واحد «يسوع» الابن الوحيد، المولود من الآب قبل الدهور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر الذي به كان كل شيء.

٣ ـ الإيمان بروح القدس، الرب المحيي، المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن مسجود له ويمجد.

٤ ـ الإيمان بأن الآب والابن وروح القدس: ثلاثة أقانيم، وثلاثة وجوه، وثلاث خواص، وحدية في تثليث، وتثليث في وحدية، كيان واحد في ثلاثة أقانيم، إله واحد، جوهر واحد، طبيعة واحدة.

ويضاف إلى عقيدة التثليث هذه: عقيدة صلب المسيح فداء عن الخليقة، وتتلخص أن العالم كله كان ملوثاً بقدر الخطيئة التي ارتكبها آدم بالأكل من الشجرة، وقد نُهي عن الأكل منها، فأرسل الله ابنه الوحيد المسيح من السماء إلى الأرض، فحبلت به مريم

العذراء البتول من روح القدس، وولد منها ليكون إنساناً كاملاً من حيث أنه ابنها، وإلهاً كاملاً من حيث أنه ابن الله، وأخذ يدعو اليهود إلى دينه، إلى أن تآمروا عليه وصُلب حيّاً فدية عن جميع الخلق، وتألم وقبر، وقام من الأموات في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس على يمين الرب، وسيأتي بمجد ليدين الخلائق يوم القيامة، ولا فناء لملكه. **وسيأتي تفصيل هذه العقيدة في بحث مستقل إن شاء الله تعالى.**

عودٌ إلى التثليث:

تقرر التثليث إذن في الديانة المسيحية على الوجه الذي سبق بيانه، وأجمع على اعتناقه المسيحيون جميعاً، غير أنهم مع إجماعهم على هذه العقيدة، قد اختلفوا فيما بينهم في أمور فرعية أخرى من عقائدهم، وانقسموا إلى طوائف كثيرة، وأعطت كل طائفة لنفسها ـ نتيجة لهذا الاختلاف ـ لقباً خاصّاً بها، ولكنها ما كانت تخرج في ذلك عن أحد لقبين وهما: «الكاثوليكية» و«الأرثوذكسية».

فاختلفوا في المسيح، هل له طبيعة واحدة، أم أن له طبيعتين: إلهية، وإنسية؛ لأنه ابن الله وابن الإنسان معاً؟ فقد جاء من مريم، ومريم من البشر، فيكون بذلك قد اجتمع فيه اللاهوت بالناسوت، على حدِّ تعبيرهم.

فأخذت الكنائس المصرية، والحبشية، والأرمنية، والسريانية بالمذهب الأول، وهو أن للمسيح طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة إلهية.

وأخذت الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية، والكنيسة الكاثوليكية بالمذهب الثاني، وهو أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، طبقاً لما انتهىٰ إليه مجمع خليكدونية المنعقد سنة ٤٥١م، ومجمع القسطنطينية السادس سنة ٦٨٠م[١].

---

(١) وسبب انعقاده ظهور رجل اسمه «يوحنا مارون» في القرن السابع الميلادي (سنة ٦٦٧م) ذهب إلى

غير أنهم مع اتفاقهم في القول بالطبيعتين والمشيئتين، قد اختلفوا فيما يتعلق بالأقنوم الذي انبثق منه روح القدس: أهو الآب وحده، أم الآب والابن معاً.

وانقسموا بذلك إلى كنيستين:

الكنيسة الشرقية اليونانية أو كنيسة الروم الأرثوذكس التي يقول أتباعها بانبثاق روح القدس عن الآب وحده، والكنيسة الغربية اللاتينية التي يقول أتباعها بانبثاق روح القدس عن الآب والابن معاً.

* * *

أن المسيح مع أنه ذو طبيعتين، له مشيئة واحدة إلهية، لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد إلهي وهو الابن أو الكلمة، وكان من آثار قرار هذا المجمع أن خرج من جماعة كنيسة روما والقسطنطينية طائفة المارونيين.

عقيدة التثليث وأصولها الوثنية

التثليث عقيدة وثنية، نقلها الوثنيون المتنصرون إلى النصرانية، وفسروا بعض الألفاظ الواردة في كتبهم اليهودية لتعطيهم شبهة يتكئون عليها في هذا التضليل، وأرغموها عليه بضرب من التحريف والتأويل، هدموا به آيات التوحيد القوية البنيان، العالية الأركان.

أما كون هذه العقيدة وثنية، فقد بينه علماء أوربا بالتفصيل، وأتوا عليه بالشواهد الكثيرة من الآثار القديمة والتاريخ.

التثليث عند البراهمة:

قال موريس(١) ما ترجمته: «كان عند أكثر الأمم الوثنية البائدة تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثلاثي أو الثالوثي».

وقال دوان(٢): «إذا رجعنا البصر إلى الهند نرى أن أعظم وأشهر عبادتهم اللاهوتية هو التثليث، ويسمون هذا التعليم بلغتهم «تري مورتي» وهي عبارة مركبة من كلمتين بلغتهم السنسكريتية «تـري»: ومعناها ثلاثة، و «مورتي»: ومعناها هيئات أو أقانيم، وهي «برهما» و«فشنو» و«سيفا»، ثلاثة أقانيم متحدة لا تنفك عن الوحدة، فهي إله واحد بزعمهم».

---

(١) موريس، «الآثار الهندية القديمة» (٦:٣٥).

(٢) دوان، «خرافات التوراة وما يماثلها في الأديان الأخرى»، ص٣٦٦.

التثليث عند البوذيين:

قال مستر فابر في كتابه «أصل الوثنية»: «كما نجد عند الهنود ثالوثاً مؤلفاً من برهما وفشنو وسيفا، نجد عند البوذيين ثالوثاً، فإنهم يقولون إن (بوذه) إله له ثلاثة أقانيم. وكذلك بوذيُّو (جينست) يقولون: إن (جينا) مثلث الأقانيم، قال: والصينيون يعبدون بوذه، ويسمونه (فو) ويقولون إنه: ثلاثة أقانيم كما تقول الهنود، وذكر رمزهم: (أ. و. م)».

وقال دوان(١): «وأنصار لاوكومتذا الفيلسوف الصيني المشهور ـ وكان قبل المسيح بأربع سنين وستمئة (٦٠٤) ـ يُدعون (شيعة ناوو) ويعبدون إلهاً مثلث الأقانيم، وأساس فلسفته اللاهوتية أن (ناوو) وهو العقل الأول الأزلي انبثق منه واحد، ومن الثاني انبثق ثالث، وعن هذا الثالث انبثق كل شيء، وهذا القول بالتولد والانبثاق أدهش العلامة موريس لأن قائله وثني!».

التثليث عند قدماء المصريين:

قال دوان(٢): «وكان قسيسو هيكل منفيس بمصر يعبرون عن الثالوث المقدس للمبتدئين بتعليم الدين بقولهم: إن الأول خلق الثاني، وهما خلقا الثالث، وبذلك تم الثالوث المقدس.

وسأل توليو ملك مصر الكاهن تنيشوكي أن يخبره: هل كان قبله أحد أعظم منه، وهل يكون بعده أحد أعظم منه، فأجابه الكاهن: نعم يوجد من هو أعظم، وهو الله قبل كل شيء، ثم الكلمة، ومعهما روح القدس، ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحد، وهم واحد بالذات، وعنهم صورت القوة الأبدية، فاذهب يا فاني يا صاحب الحياة القصيرة.

---

(١) دوان، «خرافات التوراة وما يماثلها في الأديان الأخرى»، ص ١٧٢.

(٢) دوان، «خرافات التوراة وما يماثلها في الأديان الأخرى»، ص ٤٧٣.

قال المؤلف: لا ريب أن تسمية الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس (كلمة) هو من أصل وثني مصري دخل في غيره من الديانات كالمسيحية[١]، و«أبولو» المدفون في «دهل» يدعى: الكلمة. وفي علم اللاهوت الإسكندري الذي كان يعلمه «بلاتو» قبل المسيح بسنين عديدة: (الكلمة: هي الإله الثاني، ويدعى أيضاً: ابن الله البكر).

التثليث عند الفرس وغيرهم من أهل آسيا:

قال هيجين[٢]: كان الفرس يدعون «متروسا»: الكلمة، والوسيط، ومخلص الفرس. وقال مثل هذا «دونلاب وبنصون».

وقال دوان في كتابه الذي ذُكر غيرَ مرة: «كان الفرس يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم مثل الهنود، ويسمونها: أوزمرد، ومترات، وأهرمن. فأوزمرد: الخلاق، ومترات: ابن الله المخلص والوسيط، وأهرمن: الملك. ونُقل عن الكلدانيين والآشوريين والفينيقيين: الإيمان بالكلمة على أنها ذات تعبد ويسميها الكلدانيون (ممرار) والأشوريون (مردوخ) ويدعون مردوخ: ابن الله البكر، وهكذا الأمم يأخذ بعضها عن بعض».

---

(١) يظهر لي أن الرسل الذين أرسلهم الله إلى المصريين وأمثالهم من القائلين بمثل قولهم هذا كانوا يقولون لهم إن كل شيء خلق بكلمة الله، فلما طال عليهم الأمد وسرت إليهم الوثنية ظنوا أن الكلمة ذات تفعل بالإرادة والاختيار فقالوا ما قالوا، والحق أنها عبارة عن تعلق إرادة الله الواحد الأحد بالشيء الذي يريد خلقه، ومتى تعلقت إرادته بخلق شيء كان كما أراد (**إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**) فلو لم يكن عندنا من إعجاز القرآن إلا بيان هذه الحقيقة التي ضلت بها الأمم من أقدمها كالهنود والمصريين إلى أحدثها قبل الإسلام كالنصارى لكفى في الاستدلال على أنه من عند الله؛ فإنه بين لنا ضلال تلك الأمم، والأصل المعقول المقبول الذي يتفق مع التوحيد الذي نقل عنهم أجمعين، فتجلى بذلك دين الله إلى جميع رسله نقياً من أدران الشرك ونزغات الشيطان. انتهىٰ. من «تفسير المنار».

(٢) هيجين، «الأنكلو سكسون»، ص ١٦٢.

وقد قال برتشرد[١]: «لا يخلو شيء من الأبحاث الدينية المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثي».

ونقول: إن أديان أسلافه الغربيين كذلك، فإن لم تكن أعرق في الوثنية، فهم تلاميذ الشرقيين فيها، ولا سيما المصريين منهم، ولكنهم هم الذين شوهوا الديانة المسيحية الشرقية، فنقلوها من التوحيد الإسرائيلي إلى التثليث الوثني.

التثليث عند أهل أوربا اليونان والرومان وغيرهم:

جاء في كتاب «سكان أوربا الأولين» ما ترجمته: «كان الوثنيون القدماء يعتقدون أن الإله واحد، ولكنه ذو ثلاثة أقانيم».

وجاء في كتاب «ترقي الأفكار الدينية»: «إن اليونانيين كانوا يقولون إن الإله مثلث الأقانيم، وإذا شرع قسيسوهم بتقديم الذبائح يرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات (إشارة إلى الثالوث) ويرشون المجتمعين حول المذبح ثلاث مرات، ويأخذون البخور من المبخرة بثلاث أصابع، ويعتقدون أمن الحكماء قالوا: إنه يجب أن تكون جميع الأشياء المقدسة مثلثة، ولهم اعتقاد بهذا العدد في جميع شعائرهم الدينية»[٢].

ونقل دوان عن أورفيوس أحد كتاب اليونان وشعرائهم قبل المسيح بعدة قرون أنه قال: «كل الأشياء صنعها الإله الواحد مثلث الأسماء والأقانيم».

وقال فسك: «كان الرومانيون الوثنيون القدماء يؤمنون بالتثليث: يؤمنون بالله أولاً، ثم بالكلمة، ثم بالروح»[٣].

---

(١) برتشرد، «خرافات المصريين الوثنيين»، ص٨٥.

(٢) «ترقي الأفكار الدينية» (١ : ٣٠٧).

(٣) فسك، «الخرافات ومخترعوها»، ص٢٠٥.

وقال بارخورست في القاموس العبراني: «كان للفلنديين ـ البرابرة الذي كانوا في شمال بروسية ـ إله اسمه (تريكلاف) وقد وجد له تمثال في (هرتوبخربرج) له ثلاثة رؤوس على جسد واحد».

أقول: (تريكلاف): مركب من كلمة (تري): ومعناها ثلاثة، وكلمة (كلاف): ولعل معناها إله.

وقال دوان(١): «كان الإسكندناويون يعبدون إلها مثلث الأقانيم يدعونها: أودين، وتورا، وفري، ويقولون هذه الثلاثة الأقانيم إله واحد. وقد وجد صنم يمثل هذا الثالوث المقدس بمدينة (أوبسال) من (أسوج)، وكان أهل (أسوج) و(نرويج) و(الدنمارك) يفاخر بعضهم بعضاً في بناء الهياكل لهذا الثالوث، ويصورون «أودين» بيده حسام، و«تورا» واقفاً عن شماله وعلى رأسه تاج وبيده صولجان، و«فري» واقفاً عن شمال «تورا» وفيه علامة الذكر والأنثى، ويدعون «أودين»: الآب، و«تورا»: الابن البكر ـ أي ابن الأب «أودين» ـ و«فري»: مانح البركة في النسل والسلام والغنىٰ». انتهىٰ(٢).

* * *

(١) دوان، «خرافات التوراة وما يماثلها في الأديان الأخرى»، ص ٣٧٧.

(٢) من أراد زيادة على ما ذكرناه فليرجع إلى كتاب: «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية» لمحمد طاهر أفندي التنير البيوتي، فقد لخصه.

إبطال التثليث بأقوال المسيح عليه السلام

ـ «(٣) وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته». [إنجيل يوحنا: الإصحاح ١٧].

ـ «(٢٨) فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله: أية وصية هي أول الكل (٢٩) فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا الرب واحد (٣٠) وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى (٣١) وثانية مثلها هي: تحب قريبك كنفسك، ليس وصية أخرى أعظم من هاتين (٣٢) فقال له الكاتب: جيداً يا معلم، بالحق قلت لأن الله واحد وليس آخر سواه (٣٣) ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة، ومحبة القريب كالنفس هي أفضل من جميع المخلوقات والذبائح (٣٤) فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل، قال له: لست بعيداً عن ملكوت الله، ولم يجسر أحد بعد ذلك أن يسأله». [إنجيل مرقس: الإصحاح ١٢].

ـ «(٣٢) وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب». [إنجيل مرقس: الإصحاح ١٣].

ـ «(٢٠) حينئذٍ تقدمت إليه أم ابني زبدى مع ابنيها وسجدت وطلبت منه شيئاً (٢١) فقال لها ماذا تريدين؟ قالت له: قل أن يجلس ابناي هذان واحدٌ عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك (٢٢) فأجاب يسوع ... (٢٣) ... وأما الجلوس عن يميني وعن

يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبي». [إنجيل متى: الإصحاح ٢٠].

ـ «(١٦) وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أيَّ صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية (١٧) فقال له لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله». [إنجيل متى: الإصحاح ١٩].

ـ «(٤٦) ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً إيلي إيلي لما سبقتني، أي: إلهي إلهي لماذا تركتني... (٥٠) فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح». [إنجيل متى: الإصحاح ٢٧].

ـ «(١٧) قال لها يسوع لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم». [إنجيل يوحنا: الإصحاح ٢٠].

ـ «(٢٨)... لأن أبي أعظم مني». [إنجيل يوحنا: الإصحاح ١٤].

ـ «(٢٤)... والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني». [إنجيل يوحنا: الإصحاح ١٤].

ـ «(٩) ولا تدعو لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات (١٠) ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح». [إنجيل متى: الإصحاح ٢٣].

ـ «(٣٦) حينئذٍ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال «جشيماني»، فقال للتلاميذ: اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك (٣٧) ثم أخذ معه بطرس وابني زَبدى وابتدأ يحزن ويكتئب (٣٨) فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا ههنا واسهروا معي (٣٩) ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه، وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت (٤٠) ثم جاء إلى التلاميذ... إلخ (٤٢) فمضى

أيضاً ثانية وصلى قائلاً: يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك (٤٣) ثم جاء... إلخ (٤٤) فتركهم ومضى أيضاً، وصلى ثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه». [إنجيل متى: الإصحاح ٢٦].

فأقواله وأحواله المندرجة في هذه العبارة تدل على عبوديته ونفي ألوهيته، أيحزن ويكتئب الإله ويموت، ويصلي لإله آخر، ويدعو بتضرع وخشوع؟! لا والله.

كان من عادته الشريفة أنه إذا عبر عن نفسه كان يعبر بـ«ابن الإنسان» غالباً كما لا يخفى على ناظر إنجيل متى في العدد ٢٠ من الإصحاح ٨، والعدد ٦ من الإصحاح ٩، ١٣ والعدد ٢٧ من الإصحاح ١٦ والأعداد ٩، ١٢، ٢٢ من الإصحاح ١٧ والعدد ١١ من الإصحاح ١٨ والعدد ٢٨ من الإصحاح ١٩ والعدد ١٨ و٢٨ من الإصحاح ٢٠ والعدد ٢٧ من الإصحاح ٢٤ والأعداد ٢٤ و٤٥ و٦٤ من الإصحاح ٢٦، وهكذا في غيره، وظاهرٌ أن ابن الإنسان لا يكون إلا إنساناً.

* * *

حجج المسيحيين في ألوهية المسيح والرد عليها

يتمسك المسيحيون بأن المسيح إله وابن إله بألفاظ وردت في بعض الأناجيل التي صنعوها، مثل إطلاق لفظ (ابن الله) عليه، وهو دليل واهٍ واهن لأن هذا الإطلاق معارض بإطلاقه (ابن الإنسان) على نفسه. وبإطلاقه (ابن داود) على نفسه أيضاً، فلا بد من حمل هذا الإطلاق على معنى لا يتنافى مع ما ثبت من جلال الله وتنزهه عما لا يليق به، ومعلوم أن لفظ الابن بمعناه الحقيقي باتفاق لغات أهل العالم أنه المتولد من نطفة الأب الملقحة لبويضة الأم، وذلك محال على الله أن تكون له صاحبة أو يوجد له ولد يتولد من نطفة ـ تعالى عما يقولون ـ فلا بد من الحمل على معنى مجازي يناسب شأن المسيح عيسى بن مريم بحيث لا يحط من قدر الله ولا يرفع المسيح فوق قدر نفسه، وقد علم من الإنجيل أن هذا اللفظ يطلق على البار، وهذه هي النصوص:

ــ «(٣٩) ولما رأي قائد المائة الواقف مقابله أن صرخ هكذا وأسلم الروح قال: حقاً كان هذا الإنسان ابن الله». [إنجيل مرقس: الإصحاح ١٥].

ونقل لوقا قول القائد هكذا: «.. (٤٧) بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً». [إنجيل لوقا: الإصحاح ٢٣].

ففي إنجيل مرقس لفظ: ابن الله، وفي إنجيل لوقا بدله لفظ: البار.

واستعمل مثل هذا اللفظ في حق الصالح غير المسيح أيضاً، كما استعمل مثل ابن إبليس في حق الطالح، كما في هذه النصوص:

ـ «(٩) طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون ... (٤٤) وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم (٤٥) لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات». [إنجيل متى: الإصحاح ٥].

ـ «(٤١) أنتم تعملون أعمال أبيكم، فقالوا له إننا لم نولد من زنا، لنا أب واحد وهو الله (٤٢) فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني ... (٤٤) أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا، ذاك كان قتّالاً للناس من البدء، ولم يثبت في الحق، لأنه ليس فيه حق متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم بما له لأنه كذاب وأبو الكذاب». [إنجيل يوحنا: الإصحاح ٨].

وهو إنما يريد أنتم عاصون لله مطيعون للشيطان.

ـ «(٩) كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله (١٠) بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس...». [الرسالة الأولى ليوحنا: الإصحاح ٣].

ـ «(٧) ... وكل من يحب فقد وُلد من الله ويعرف الله». [الرسالة الأولى ليوحنا: الإصحاح ٤].

ـ «(١) ... كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد وُلد من الله وكل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضاً (٢) وبهذا نعرف أننا نحبُّ أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه». [الرسالة الأولى ليوحنا: الإصحاح ٥].

ـ «(١٤) لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» [رسالة بولس إلى أهل رومية: الإصحاح ٨].

ــ «(١٤) افعلوا كل شيء بلا دمدمة ولا مجادلة (١٥) لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء، أولاداً لله بلا عيب». [رسالة بولس إلى أهل فيلبي: الإصحاح ٢].

ونلاحظ كثرة وقوع المجاز في كتب العهد القديم والجديد:

ذكر لوقا في الإصحاح الثالث من إنجيله في بيان نسب المسيح عليه السلام أنه ابن يوسف، وآدم ابن الله، وظاهر أن آدم عليه السلام ليس ابنا لله بالمعنى الحقيقي ولا إلهاً، لكن لما ولد بلا أبوين نسبه إلى الله، ولما كان المسيح عليه السلام مولوداً بلا أب نسبه إلى يوسف النجار، ولو كان كل من يسميه الله ابنا يحمل على البنوة الحقيقية ويكون إلهاً مستوجباً للعبادة لكان كل بني إسرائيل آلهة لأن الله أطلق على إسرائيل قول: ابني.

ــ «(٢٢) فتقول لفرعون هكذا يقول الرب: اسرائيل ابني البكر (٢٣) فقلت لك أطلق ابني ليعبدني فأبيت أن تطلقه ها أنا أقتل ابنك البكر». [سفر الخروج: الإصحاح ٤].

ــ «(٢٠) وجدت داود عبدي بدهن قدسي مسحته... (٢٦) هو يدعوني أبي أنت إلهي وصخرة خلاصي (٢٧) أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض». [مزمور ٨٩].

ــ «..(٩) لأني صرت لإسرائيل أباً وإفرايم هو بكري». [سفر أرميا: الإصحاح ٣١].

ــ «قول الله في حق سليمان: (١٤) أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً». [سفر صمويل الثاني: الإصحاح ٧].

ــ «(١٦) فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم وإن لم يدرنا إسرائيل أنت يارب أبونا ولينا منذ الأبد اسمك». [سفر آشعيا: الإصحاح ٦٣].

ــ «(٥) أبو اليتامى وقاضي الأرامل: الله في موضع قدسه». فأطلق على الله لفظ أبي اليتامى. [مزمور ٦٨].

ويتمسك المسيحيون أيضاً بما جاء في إنجيل يوحنا:

ـ «(٢٣) فقال لهم أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق، أنتم من هذا العالم أما أنا فلست من هذا العالم». [إنجيل يوحنا: الإصحاح ٨]، يعني أني إله نزلت من السماء وتجسمت. وهو مردود؛ فإن عيسى عليه السلام قال مثل هذا القول في حق تلاميذه أيضاً:

ـ «(١٩) لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا أخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم» [إنجيل يوحنا: الإصحاح ١٥].

ـ «..(١٤).. لأنهم ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم ... (١٦) ليسوا من العالم كما أني لست من العالم» [إنجيل يوحنا: الإصحاح ١٧].

فقال في حق تلاميذه: أنهم ليسوا من العالم، وسوى بينه وبينهم في عدم الكون من هذا العالم، فلو كان مستلزماً للألوهية كما زعموا لزم أن يكونوا كلهم آلهة والعياذ بالله، بل التأويل الصحيح لما قاله المسيح: أنتم من أسفل لأنكم طلاب الدنيا الحقيرة، أما أنا فلست من هذا العالم لأني طالب الآخرة ورضاء الله.

وهذا المجاز شائع في الألسنة، يقال للزهاد والصلحاء: إنهم ليسوا من الدنيا.

وتمسكوا أيضاً بما جاء في إنجيل يوحنا:

ـ «(٣٠) أنا والآب واحد». [إنجيل يوحنا: الإصحاح ١٠].

فهذا يدل على اتحاد المسيح بالله، وهو باطل فإن مثل هذا وقع في حق الحواريين في إنجيل يوحنا:

ـ «(٢١) ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الأب فيّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني (٢٢) وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد (٢٣) أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد

وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني» [إنجيل يوحنا ـ الإصحاح ١٧].

فقوله: (ليكون الجميع واحداً) وقوله: (ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد) وقوله: (ليكونوا مكملين إلى واحد) تدل على اتحادهم.

وسوى في القول الثاني بين اتحاده بالله وبين اتحاده فيما بينهم، وظاهر أن اتحادهم فيما بينهم ليس حقيقياً، فكذا اتحاده بالله.

بل الحق أن الاتحاد بالله عبارة عن إطاعة أحكامة والعمل بالأعمال الصالحة، وفي نفس هذا الاتحاد المسيح والحواريون وجميع أهل الإيمان متساوون، وإنما الفرق باعتبار القوة والضعف.

فاتحاد المسيح بهذا المعنى أشد وأقوى من اتحاد غيره، والدليل على كون الاتحاد عبارة عن هذا المعنى قول يوحنا في الإصحاح الأول من رسالته الأولى، وهو هكذا:

«(٥) وهذا هو الخبر الذي سمعناه منه ونخبركم به أن الله نور وليس فيه ظلمة البتة (٦) إن قلنا أن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة نكذب، ولسنا نعمل الحق (٧) ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض».

ووقع في التراجم الفارسية لفظ (الاتحاد) بدل لفظ (الشركة)، فعلم أن الاتحاد بالله أو الشركة معه عبارة عما قلناه.

وتمسكوا أيضاً بما جاء في إنجيل يوحنا:

ـ «(٩)... الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب (١٠) ألست تؤمن أني أنا في الآب والآب فيّ، الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي، لكن الآب الحالّ فيّ هو يعمل الأعمال». [إنجيل يوحنا: الإصحاح ١٤].

فقوله: (الذي رآني فقد رأى الآب) وقوله: (أنا الآب والآب فيّ) وقوله: (الآب الحالّ فيّ)؛ دالة على اتحاد المسيح بالله؛ وهذا الاستدلال ضعيف بوجهين:

الأول: أن رؤية الله في الدنيا ممتنعة عندهم:

ـ «(١٨) الله لم يَرَه أحدٌ قط» [إنجيل يوحنا: الإصحاح ١].

ـ «(١٦) الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه». [الرسالة الأولى إلى تيموثاوس: الإصحاح ٦].

ـ «(١٢) الله لم ينظره أحدٌ قط». [رسالة يوحنا الأولى: الإصحاح ٤].

فثبت من هذه النقول أن من كان مرئياً لا يكون إلهاً قط، ولو أطلق عليه في كلام الله، أو الأنبياء أو الحواريين لفظ الله.

الثاني: أن االعدد ٢٠ من الإصحاح، هكذا: «في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم».

والعددان ١٩، ٢٠ من الإصحاح السادس من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، هكذا: «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم (٢٠) لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي الله».

والآية ١٦ من الإصحاح السادس من الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس هكذا «وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان فإنكم أنتم هيكل الله الحي كما قال الله أني سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً».

والآية ٦ من الإصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل أفسس هكذا: «إله وآب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم».

فلو كان الحلول مشعراً بالاتحاد ومثبتاً للألوهية لزم أن يكون الحواريون بل جميع أهل «كرنثوس» وكذا جميع أهل «أفسس» آلهة، بل الحق أن الأدنى إذا كان من أتباع الأعلى كأن يكون رسوله أو عبده أو تلميذه أو قريباً من أقربائه، فالأمر المنسوب إلى الأدنى من التعظيم والتحقير والمحبة وغيرها ينسب إلى الأعلى مجازاً، ولذا جاء في إنجيل متى الإصحاح العاشر العدد ٤٠ أن المسيح قال في حق الحواريين «من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني».

وجاء أيضاً في إنجيل لوقا (الإصحاح التاسع: العدد ٤٨) أنه قال في حق الولد الصغير: «وقال لهم: من قبل هذا الولد باسمي يقبلني ومن قبلني يقبل الذي أرسلني».

وجاء في إنجيل لوقا (الإصحاح العاشر: العدد ١٦) أنه قال في حق السبعين الذين أرسلهم اثنين اثنين إلى البلاد: «الذي يسمع منكم يسمع مني والذي يرذلكم يرذلني والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني».

والقرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

ويستدلون أيضاً على ألوهيته بأنه ولد بلا أب، وهذا استدلال ضعيف جداً، فإن آدم عليه السلام يشارك المسيح في كونه مخلوقاً بلا أب ويفوقه في كونه بلا أم.

وكذلك «ملكى صادق» الكاهن الذي عاصر إبراهيم عليه السلام، ففي العدد ٣ من الإصحاح السابع من الرسالة العبرانية: «بلا أب بلا أم بلا نسب، لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة»، فيفوق المسيح في كونه بلا أم.

ويستدلون تارةً بمعجزاته، وهذا أيضاً ضعيف، لأن من أعظم معجزاته إحياء

الموتى[١]، وقد فاقه «حزقيال» في هذا فقد أحيا ألوفاً كما هو مصرَّح به في الإصحاح السابع والثلاثين من كتابه فهو أولى بأن يكون إلهاً.

وأحيا «إيليا» أيضاً ميتاً كما هو مصرَّح به في الإصحاح السابع عشر من سفر الملوك الأول.

وأحيا «اليشع» أيضاً ميتاً كما هو مصرَّح في الإصحاح السابع عشر من سفر الملوك الثاني.

وصدرت هذه المعجزة عن «اليشع» بعد موته، وذلك أن ميتاً ألقي في قبره فحييَ بإذن الله كما هو مصرَّح به في الإصحاح الثالث عشر من السفر المذكور.

ـ «..(٢٠) ومات اليشع فدفنوه، وكان غزاة (مواب) تدخل على الأرض عند دخول السنة (٢١) وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر اليشع فلما نزل الرجل ومسَّ عظام اليشع عاش وقام على رجليه».

وفي الإصحاح الخامس من السفر المذكور أن اليشع أبرأ الأبرص من برصه.

ملاحظة:

اعلم أرشدك الله تعالى أن السبب في نقلي لتلك الأقوال المسيحية وتأويلها هو إلزامهم الحجة وإثبات أن تمسكهم بها ضعيف، وكذا ما قلته في أقوال الحواريين إنما هو على تقدير أنها أقوالهم، ولا يثبت عندنا أنها أقوال المسيح عليه السلام والحواريين لفقدان إسناد هذه الكتب، ولوقوع التحريف فيها عموماً، وفي هذه المسألة خصوصاً.

---

(١) الذين أحياهم المسيح عليه السلام ثلاثة أشخاص فقط، راجع: لوقا الإصحاح السابع، الأعداد: ١١ ـ ١٦، ومتى الإصحاح التاسع، الأعداد: ١٨ ـ ٢٤، ويوحنا الإصحاح الحادي عشر ١١.

ومن الغريب أن عقلاء النصارى يعترفون بأن هذه العقيدة لا تعقل، ولكن بعضهم يحاول تأنيس النفوس بها، بضرب أمثلة لا تصدق عليها، ككون الشمس مركبة من الجرم المشتعل والنور والحرارة، قال ناصيف اليازجي:

نحن النصارى آل عيسى المنتمي حسب التأنس للبتولة مريم

فهو الإله ابن الإله وروحه فثلاثة في واحد لم تقسم

للآب لا هوتُ ابنهِ وكذا ابنُهُ وكذا هما والروح تحت تقنم

كالشمس يظهر جرمها بشعاعها وبحرها والكل شمس فاعلم

فهو يقول إن ربهم جوهر له أعراض كسائر الجواهر والأجسام، ولكن العرض ليس عين الذات، فحرارة الشمس ليست شمساً، ولا هي عين الجرم ولا عين الضوء، فإذاً لا يصح أن يكون الابن وروح القدس عين الآب[1]!

وقد أورد صاحب «إظهار الحق» الحكاية الآتية في بيان تخبطهم في هذه المسألة، قال رحمه الله:

«نقل أن تنصر ثلاثة أشخاص وعلمهم بعض القسيسين العقائد الضرورية سيما عقيدة التثليث، وكانوا في خدمته، فجاء محب من أحباء هذا القسيس وسأله عمن تنصر فقال: ثلاثة أشخاص تنصروا، فسأل هذا المحب: هل تعلموا شيئاً من العقائد الضرورية؟ فقال: نعم، وطلب واحداً منهم ليري محبه، فسأله عن عقيدة التثليث فقال: إنك علمتني أن الآلهة ثلاثة، أحدهم الذي هو في السماء، والثاني الذي تولد من بطن مريم العذراء، والثالث الذي نزل في صورة الحمامة على الإله الثاني بعد ما صار ابن ثلاثين سنة، فغضب القسيس وطرده وقال: هذا مجهول، ثم طلب الآخر منهم وسأله فقال إنك علمتني أن

---

(١) «تفسير المنار» (٦: ٤٨٥).

الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم فالباقي إلهان، فغضب عليه القسيس أيضاً وطرده، ثم طلب الثالث وكان ذكياً بالنسبة إلى الأولين وحريصاً في حفظ العقائد فسأله، فقال: يا مولاي حفظت ما علمتني حفظاً جيداً، وفهمت فهماً كاملاً، بفضل السيد المسيح: إن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد، وصلب واحد منهم ومات، فمات الكل لأجل الاتحاد، ولا إله الآن، وإلا يلزم نفي الاتحاد

أقول: لا تقصير للمسؤولين، فإن هذه العقيدة يخبط فيها الجهلاء هكذا ويتحير علماؤهم ويعترفون بأنا نعتقد ولا نفهم، ويعجزون عن تصويرها وبيانها». انتهى.

* * *

عقيدة الصلب والفداء

لقد جعل النصارى خاتمة أمر المسيح عليه السلام خاتمة شنيعة ومأساة مروعة وجعلوا الاعتقاد بحصولها ـ على الوجه الذي صوروه ـ أصلاً من أصول دينهم، ودعامة من دعائم عقيدتهم، فمن فاته الإيمان بها فهو في الآخرة من الهالكين وإن عمل الصالحات، ومن آمن بها على الوجه الذي يقولونه ويدعون إليه كان هو الفائز بملكوت السماء مع المسيح والرسل والقديسين.

وقد تلمسوا لتلك العقيدة أصلاً في العهد القديم جعلوا حمله جملاً وحبته قبة، وأسسوا عليه صلب المسيح، فقالوا: إن آدم وهو أول كل البشر لما عصى الله تعالى بالأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها صار هو وجميع ذريته خطاة مستحقين للعقاب في الآخرة بالهلاك الأبدي، ثم إن جميع ذريته جاءوا خطاة مذنبين، فكانوا مستحقين للعقاب أيضاً لذنوبهم كما أنهم مستحقون له بذنب أبيهم الذي هو الأصل لذنوبهم.

ولما كان الله تعالى من صفته العدل والرحمة، فمن عدله أنه لا يترك الجريمة دون عقاب، وإلا لم يكن عادلا والعقاب مناف للرحمة فلا يكون رحيماً إذا عاقب، ولا بد من تحقيق العدل والرحمة معاً. وللخروج من هذا الإشكال؛ شاء الله أن يحل ابنه (تعالى) الذي هو بنفسه الله في رحم امرأة من ذرية آدم، ويتجسد جنيناً في رحمها، ويولد منها، فيكون ولدها إنساناً كاملاً من حيث إنه ابن لتلك المرأة، وإلهاً كاملاً من حيث إنه ابن الله ـ وابن الله هو الله ـ ويكون معصوماً من جميع المعاصي، ثم بعد أن يعيش معهم زمناً يأكل مما

يأكلون ويشرب مما يشربون ويتلذذ ويتألم كما يتلذذون ويتألمون، يسخر أعداءه وأعداء شريعته لقتله شر قتلة وأفظعها، وهي قتلة الصلب التي لُعن صاحبها في الكتاب الإلهي.

ـ «وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقُتل وعلقته على خشبة (٢٣) فلا تَبِتْ جثته على الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلَّق ملعون من الله، فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلـهُك نصيباً». [سفر التثنية: إصحاح ٢١ : ٢٢].

فيحتمل اللعن والصلب لأجل فداء البشر وخلاصهم من خطاياهم، كما قال يوحنا في رسالته الأولى:

ـ «(١) يا أولادي اكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا، وإن أخطأ أحد فلسنا نشفع عند الآب يسوع المسيح البار (٢) وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً[١]».

ما يرد على عقيدة الصلب:

جاء في «تفسير المنار» (الجزء السادس ص ٢٢) ردّاً على هذه العقيدة ما نصه:

١ـ لا يمكن أن يقبل هذه القصة من يؤمن بالدليل العقلي أن خالق العالم لا بد أن يكون بكل شيء عليماً، وفي كل صنعه حكيماً، لأنها تستلزم الجهل والبداء على الباري عز وجل، كأنه حين خلق آدم ما كان يعلم ما يكون عليه أمره، وحين عصى ما كان يعلم ما يقتضيه العدل والرحمة في شأنه، حتى اهتدى إلى ذلك بعد ألوف من السنين مرت على خلقه، كان فيها جاهلاً كيف يجمع بين تينك الصفتين من صفاته، وواقعاً في ورطة التناقض بينهما، ولكن قد يقبلها من يُشترَط في الدين عندهم أن لا يتفق مع العقل، وأن يأخذ صاحبه بكل ما يُسند إلى من نُسِب إليهم عمل العجائب، ويقول آمنت به وإن لم

(١) راجع: «تفسير المنار» (٦: ٢٠)، و «قصص الأنبياء» لعبد الوهاب النجار، ص ٥١٣.

يدركه، ولم تذعن له نفسه، ومن ينقلون في أول كتاب من كتبهم الدينية (سفر التكوين) هذه الجملة (٦: ٦ فندم الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه) تعالى الله عن ذلك كله علواً كبيراً.

٢ـ يلزم من يقبل هذه القصة أن يسلم ما يحيله كل عقل مستقل من أن خالق الكون يمكن أن يحل في رحم امرأة في هذه الأرض التي نسبتها إلى سائر ملكه أقل من نسبة الذرة إليها وإلى سمواتها التي ترى منها، ثم يكون بشراً يأكل ويشرب ويتعب ويعتريه غير ذلك مما يعتري البشر، ثم يأخذه أعداؤه بالقهر والإهانة فيصلبوه مع اللصوص ويجعلوه ملعوناً بمقتضى حكم كتابه لبعض رسله، تعالى الله عن ذلك كله علواً كبيراً.

٣ـ تقتضي هذه القصة أن يكون الخالق العليم الحكيم قد أراد شيئاً بعد التفكر فيه ألوفاً من السنين فلم يتم له ذلك الشيء، ذلك أن البشر لم يخلصوا وينجوا بوقوع الصلب من العذاب، فإنهم يقولون إن خلاصهم متوقف على الإيمان بهذه القصة وهم لم يؤمنوا بها لنا أن نقول إنه لم يؤمن بها أحد قط، لأن الإيمان هو تصديق العقل وجزمه بالشيء والعقل لا يستطيع أن يدرك ذلك، والذين يقولون إنهم مؤمنون بها يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم تقليداً لمن لقَّنهم ذلك، فإن سمينا مثل هذا القول إيماناً، نقول إن أكثر البشر لا يقولونه بل يردُّونه بالدلائل العقلية، ومنهم من يردُّ أيضاً بالدلائل النقلية، من دين تثبت أصوله عندهم بالأدلة العقلية، ومنهم من لم يعلموا بهذه القصة، ومنهم من يقول بمثلها لآلهة أخرى.

فإذا عذبهم الله تعالى في الآخرة ولم يدخلهم ملكوته ـ كما تدعي النصارى ـ لا يكون رحيماً على قاعدة دعاة الصلب والصليب، فكيف جمع بذلك بين العدل والرحمة؟!

٤ـ يلزم من هذه القصة شيء أعظم من عجز الخالق (تعالى وتقدس) عن إتمام مراده بالجمع بين عدله ورحمته، وهو انتفاء كل من العدل والرحمة في صلب المسيح لأنه عذبه من حيث هو بشر وهو لا يستحق العذاب لأنه لم يذنب قط، فتعذيبه بالصلب والطعن بالحراب ـ على ما زعموا ـ لا يصدر من عادلٍ ولا من رحيم بالأحرى، فكيف يعقل أن يكون الخالق غير عادل ولا رحيم، أو أن يكون عادلاً رحيماً فيخلق خلقاً يوقعه في ورطة الوقوع في انتفاء إحدى هاتين الصفتين، فيحاول الجمع بينهما فيفقدهما معاً؟!

٥ـ إذا كان كل من يقول بهذه العقيدة أو القصة ينجو من عذاب الآخرة كيفما كانت أخلاقه وأعماله، لزم من ذلك أن يكون أهلها إباحيين، وأن يكون الشرير المبطل الذي يعتدي على أموال الناس وأنفسهم وأعراضهم ويفسد في الأرض ويهلك الحرث والنسل، من أهل الملكوت الأعلى لا يعذب على شروره وخطيئاته، ولا يجازى عليها بشيء، فله أن يفعل في هذه الدنيا ما شاء هواه، وهو آمن من عذاب الله، وناهيك بهذا مفسداً للبشر، وإذا كان يعذب على شروره وخطيئاته كغيره من غير الصليبيين فما هي مزية هذه العقيدة؟ وإذا كان له امتياز عند الله تعالى في نفس الجزاء، فأين العدل الإلهي؟!

٦ـ ما رأينا أحداً من العقلاء ولا من علماء الشرائع والقوانين يقول إن عفو الإنسان عمن يذنب إليه، أو عفو السيد عن عبده الذي يعصيه، ينافي العدل والكمال، بل يعدون العفو من أعظم الفضائل، وترى المؤمنين بالله من الأمم المختلفة يصفونه بالعفو ويقولون إنه أهل للمغفرة، فدعوى الصليبيين أن العفو والمغفرة مما ينافي العدل مردودة غير مسلمة. انتهىٰ.

عقيدة الصلب والفداء وثنية الأصل:

لقد بيّن علماء أوربا الأحرار ومؤرِّخوهم وعلماء الآثار والعاديات منهم أن عقيدة الصلب والفداء سرت إلى النصارى من الوثنيين.

وإنني أكتفي هنا بما نقله المرحوم السيد رشيد رضا في «تفسيره» من كتاب «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية»:

قال دوان في كتابه «خرافات التوراة وما يقابلها من الديانات الأخرى» (ص١٨١، ١٨٢) ما ترجمته بالتلخيص: «إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم»، وذكر الشواهد على ذلك، منها قوله:

«يعتقد الهنود أن (كرشنا) المولود البكر ـ الذي هو نفس الإله (فشنو) الذي لا ابتداء له ولا انتهاء على رأيهم ـ تحرك حنوّاً كي يخلص الأرض من ثقل حملها، فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه».

وذكر أن **مستر مور** قد صور (كرشنا) مصلوباً كما هو مصور في كتب الهنود مثقوب اليدين والرجلين، وعلى قميصه صورة قلب الإنسان معلقاً، ووجدت له صورة مصلوباً وعلى رأسه إكليل من الذهب، والنصارى تقول إن يسوع صلب وعلى رأسه أكليل من الشوك.

وقال هوك في ص ٣٢٦ من المجلد الأول من رحلته: «ويعتقد الهنود الوثنيون بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء للناس من الخطيئة».

وقال مورينورليمس في ص ٣٦ من كتابه «الهنود»: «ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية، ومما يدل على ذلك ما جاء في مناجاتهم وتوسلاتهم التي يتوسلون بها بعد (الكياتري) وهو «إني مذنب ومرتكب الخطيئة، وطبيعتي شريرة، وحملتني أمي بالإثم، فخلصني ياذا العين الحندقوقيه، يا مخلص الخاطئين من الآثام والذنوب».

وقال القس جورج كوكس في كتابه «الديانات القديمة» في سياق الكلام عن الهنود «ويصفون (كرشنا) بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً لأنه قدَّم شخصه ذبيحة».

ونقل هجين عن اندرادا الكروزويوس ـ وهو أول أوربي دخل بلاد النيبال والتِّبت ـ أنه قال في الإله (إندرا) الذي يعبدونه «إنه سفك دمه بالصلب وثقب المسامير لكي يخلص البشر من ذنوبهم، وإن صورة الصليب موجودة في كتبهم».

وفي كتاب جورجيوس الراهب صورة الإله (أندرا) هذا مصلوباً، وهو بشكل صليب أضلاعه متساوية العرض متفاوتة الطول فالرأس أقصرها (وفيه صورة وجهه) والسفلى أطولها، ولولا صورة الوجه لما خطر لمن يرى الصورة أنها تمثل شخصاً.

وأما ما يروى عن البوذيين في (بوذه) فهو أكثر انطباقاً على ما يرويه النصارى عن المسيح من جميع الوجوه، حتى إنهم يسمونه المسيح، والمولود الوحيد، ومخلِّص العالم، ويقولون إنه إنسان كامل وإله كامل تجسد بالناسوت، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ويخلصهم من ذنوبهم فلا يعاقبوا عليها، ويجعلهم وارثين لملكوت السموات، بيَّن ذلك كثير من علماء الغرب منهم **بيل** في كتابه «تاريخ بوذه» **وهوك** في «رحلته» **وموار** في كتاب «تاريخ الآداب السنسكريتية»، وغيرهم. انتهىٰ.

* * *

شبهات النصارى على إنكار الصلب

الشبهة الأولىٰ:

يدّعي بعضهم فيما يموّه به على عوام المسلمين أن مسألة الصلب متواترة، فالعلم بها قطعي. والجواب عن هذه الشبهة أَن دعوى التواتر ممنوعة، فإن التواتر عبارة عن إخبار عدد كثير لا يجوِّزُ العقل اتفاقهم وتواطؤهم على الكذب بشيء قد أدركوه بحواسهم إدراكاً صحيحاً لا شبهة فيه، وكان خبرهم بذلك متفقاً لا اختلاف فيه، هذا إذا كان التواتر في طبقة واحدة رأوا بأعينهم شيئاً (مثلاً) وأخبروا به، فإن كان التواتر في طبقات كان ما بعد الأولى مخبراً عنها، ويشترط أن يكون أفراد كل طبقة لا يجوز عقل عاقل تواطؤهم على الكذب في الإخبار عمن قبلهم، وأن يكون كل فرد من كل طبقة قد سمع جميع الأفراد الذين يحصل بهم التواتر ممن قبلهم، وأن يتصل السند هكذا إلى الطبقة الأخيرة، فإن اختل شرط من هذه الشروط لا ينعقد التواتر.

وأنىٰ للنصارى بمثل هذا التواتر؟! والذين كتبوا الأناجيل والرسائل المعتمدة عندهم لا يبلغون عدد التواتر، ولم يخبر أحد منهم عن مشاهدة، ومن تنقل عنه المشاهدة كبعض النساء لا يؤمَن عليه الاشتباه والوهم، بل قال يوحنا في إنجيله إن (مريم المجدلية) وهي أعرف الناس بالمسيح اشتبهت فيه وظنت أنه البستاني. وهو قد كان صاحب آيات، وخوارق عادات، فلا يبعد أن يلقيَ شبهه على غيره، وينحو بالتشكل بصورة غير صورته، كما ردّدوا عنه أنه قال لهم: إنهم يشكّون فيه، وكما قال مرقس: إنه ظهر لهم بهيئة أخرى. ثم

إن ما عُزِي إليهم لم ينقله عنهم عدد التواتر بالسماع منهم طبقة بعد طبقة إلى العصر الذي صار للنصارى فيه ملك وحرية يظهرون فيها دينهم. وقد بيَّن الشيخ رحمة الله الهندي وغيره انقطاع أسانيد هذه الكتب بالبينات الواضحة، وسيأتي في هذا السياق ما يدل على عدم الثقة بها.

الشبهة الثانية:

يقولون لو لم تكن هذه القصة متواترة متفقاً عليها لوجد فيهم من أنكرها كما وجدت فيهم فرق خالفت الجمهور في أصول عقائده كالتثليث ولم تخالفه في هذه العقيدة.

والجواب عن هذا عسير على من يجهل تاريخهم، يسير على المطلع عليه، فقد أنكر الصلب منهم فرقة السيزنثيين و(التاتيانوسيين) أتباع تاتيانوس تلميذ **يوستيفوس** الشهيد، وقال **فرتيوس**: إنه قرأ كتاباً يسمى رحلة الرسل فيه أخبار بطرس ويوحنا وأندراوس وتوما وبولس، ومما قرأه فيه أن «المسيح لم يصلب، ولكن صلب غيره وقد ضحك بذلك من صالبيه».

هذا وإن مجامعهم الأولى قد حرّمت قراءة الكتب التي تخالف الأناجيل الأربعة والرسائل التي اعتمدتها؛ فصار أتباعهم يحرقون تلك الكتب ويتلفونها، وإننا نرى ما سلم بعض نسخه منها كإنجيلِ برنابا ينكر الصلب، وما يدرينا أن تلك الكتب التي فقدت كانت تنكره أيضاً. فنحن لا ثقة لنا باختيار المجامع لما اختارته فنجعله حجة ونعد ما عداه كالعدم، على أن عدم العلم بالمنكرين لا يقتضي عدم وجودهم، وعدم وجودهم لا يقتضي أن يكون ما اتفقوا عليه بتقليد بعضهم لبعض ثابتاً في نفسه.

الشبهة الثالثة:

يقولون إن الأناجيل ورسائل العهد الجديد قد أثبتت الصلب وهي كتب مقدسة معصومة من الخطأ، فوجب اعتقاد ما أثبتته. ونقول:

أولاً: لا دليلَ على عصمة هذه الكتب ولا على أن كاتبيها كانوا معصومين.

وثانياً: لا دليلَ على نسبتها إلى من نسبت إليهم لأنها غير متواترة كما تقدَّم.

وثالثاً: إنها معارضة بأمثالها كإنجيل برنابا وترجيحهم إياها على هذا الإنجيل لا يصلح مرجعاً عندنا؛ لأنهم اتبعوا في اعتمادها تلك المجامع التي لا ثقةَ لنا بأهلها، ولا كانوا معصومين عندهم ولا عندنا.

ورابعاً: إنها متعارضة في قصة الصلب وفي غيرها.

وخامساً: أنها معارضة بالقرآن العزيز وهو الكتاب الإلهي الذي ثبت نقله بالتواتر الصحيح دون غيره، فقصارى تلك الكتب أن تفيد الظن بالقرائن كما قال تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء: ١٥٧]، والقرآن قطعي فوجب تقديمه لأنه يعتبر العلم القطعي.

إن بعض المسلمين يصدقون دعاة النصرانية، ومجادليهم في زعمهم أن هذه الأناجيل محفوظة عندهم من عهد المسيح إلى الآن، وأنها مسلمة عند جميع فرقهم ومعروفة عند غيرهم، فلم يكن يختلف فيها اثنان، ولكن من طالع كتبهم التاريخية والدينية يعلم أن هذه الدعوى باطلة.

وإنما يصدقهم المسلمون الجاهلون لتوهمهم أن النصرانية نشأت كالإسلام في مهد القوة والعزة والمدنية والحضارة فأمكن حفظ كتبها كما أمكن حفظ القرآن، وشتان بين

الأمتين في نشأتيهما شتان، وإليك نزراً من البيان، وإن شئت المزيد من مثله فارجع إلى الكتب المؤلفة في هذا الشأن.

الدلائل على عدم الثقة بالأناجيل:

ألف **سلسوس** من علماء الوثنيين في القرن الثاني الميلادي كتاباً في إبطال الديانة النصرانية، قال فيه كما نقل عنه **أكهارن** من علماء ألمانيا ما ترجمته: «بدّل النصارى أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات؛ بل أكثر من هذا؛ تبديلاً كأن مضامينها بدلت».

وفي كتبهم أن الفرقة الأبيونية من فرق النصارى في القرن الأول للميلاد كانت تصدق إنجيل متى وحده وتنكر ما عداه، ولكن كان زمن الإنجيل مخالفاً لإنجيل متى الذي ظهر بعد ظهور قسطنطين، وأن الفرقة (المارسيونية) من فرق النصارى القديمة كانت تأخذ بإنجيل لوقا، وكانت النسخة التي تؤمن بها مخالفة للموجودة الآن، وكانت تنكر سائر الأناجيل وهي عندهم من المبتدعة.

وفي رسالة بولس إلى أهل غلاطية (١ : ٦) ما نصه: «إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر (٧) ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح»، هكذا في ترجمة البروتستانت الأخيرة: (يحولوا)، وفي الترجمة القديمة التي نقل عنها كثيرون: (يحرفوا)، وفي ترجمة الجزويت: (يقلبوا)، والمعاني متقاربة تدل كلها على أنه كان في عهد بولس قوم يدعون الناس إلى إنجيل غير الذي يدعو هو إليه، ومعنى كونه غيره أنهم حرفوه أو قلبوه حتى صار كأنه إنجيل آخر. وكما اعترف بولس بهذا اعترف بأنه كان يوجد في عصره رسل كذابون غدّارون تشبهوا برسل المسيح، صرّح بذلك في رسالته الثانية إلى أهل كورنثيوس (١١ : ١٣) فقال: «لأن مثل هؤلاء رسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم إلى رسل

المسيح (١٤) ولا عجب لأن الشيطان يغير شكله إلى ملاك نور (١٥) فليس عظيماً إذا كان خدامه أيضاً يغيرون شكلهم كخدام للبر».

وفي سفر الأعمال تصريحٌ بأن بعض اليهود كانوا ينبثُّون بين المسيحيين ويعلمونهم غير ما يعلمهم رسل المسيح، وأن الرسل والمشايخ أرسلوا بولس وبرنابا إلى أنطاكية لتحذير إخوانهم فيها من الذين يوصونهم بالختان وحفظ الناموس الذي لم يأمروهم به، كما ذكر في الفصل ١٥ منه، وفي آخره أنه حصلت مشاجرة هنالك بين بولس وبرنابا وافترقا.

ومن المعلوم أن بولس كان عدوَّ المسيحيين وخصمهم وأنه لما ادّعىٰ الإيمان لم يصدقه جماعة المسيح عليه السلام ولولا أنه شهد له برنابا لما قبلوه، وبرنابا يقول في أول إنجيله إن بولس نفسه كان من الذين بشروا بتعليم جديد غير تعليم المسيح، فمع أمثال هذه النصوص في أمهات كتبهم المقدسة كيف يمكن للمسلم أن يثق بها!

ومن الشواهد على التعارض والتناقض في قصة الصلب منها: أن أصل هذه العقيدة أن المسيح بذل نفسه باختياره فداء وكفارة عن البشر، مع أن هذه الأناجيل تصرح بأنه حزن واكتأب عندما شعر بقرب أجله، وطلب من الله أن يصرف عنه هذه الكأس:

«(٣٧) ثم أخذ معه بطرس وابني زبدى وابتدأ يحزن ويكتئب (٣٨) فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا هنا واسهروا معي (٣٩) ثم تقدَّم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا، بل كما (تريد) أنت ... (٤٢) فمضى أيضاً ثانية وصلى قائلاً: يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك». [متى: الإصحاح ٢٦]، ومثل هذا في لوقا (٤٣ _ ٤٥).

فكيف يقول المسيح هذا وهو إله عندهم؟! فهل يمكن أن يجهل ما يمكن وما لا يمكن، وأن يطلب إبطال الطريق التي أراد الآب ـ وهو هو عندهم ـ أن يجمع بها بين عدله ورحمته ؟! [لوقا: الإصحاح ٢٢].

ومن الشواهد عليها مسألة اللصين اللذين قالوا إنهما صلبا معه. قال مرقس (١٥: ٢٧): وصلبوا معه لصين واحداً عن يمينه وآخر عن يساره (٢٨) فتم الكتاب القائل «وأحصي مع أثمة»... إلى أن قال: واللذان صلبا معه كانا يعيّرانه، وكذلك قال متى (٢٧: ٤٤)، وأما لوقا فقد سمّى الرجلين اللذين صلبا معه مذنبين ولكنه قال (٢٣: ٣٩): وكان واحد من المذنبَيْن المعلقَيْن معه يجدّف عليه قائلاً: إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا (٤٠) فأجاب الآخر وانتهره ..إلخ، وفيه أن المسيح بشَّرَ هذا أنه يكون معه في الفردوس ذلك اليوم، فكانت نبوة الكتاب (المراد به أشعيا) أنه يصلب مع أثمة بصيغة الجمع، ثم كان الجمع اثنين ولا بأس بذلك، ولكن كيف يقول اثنان من الإنجيليين المعصومين ـ على رأيهم ـ أن الذي عيّره وأهانه هو أحدهما، والآخران ـ وهما مثله في عصمته ـ يقولان: بل كلاهما عيّره؟!

ومثل هذه المخالفات والمعارضات في هذه القصة كثيرة، ومن أظهرها مسألة دفنه ليلة السبت، وقيامه من القبر قبل فجر يوم الأحد، مع أن البشارة أنه يكون في بطن الأرض ثلاثة أيام بلياليها، وهي مدة يونان في بطن الحوت، ومنها مسألة النساء اللواتي جئن القبر، وفيها عدة خلافات في وقت المجيء ورؤية الملك أو الملكين ورؤيته هو.. إلخ.

الشبهة الرابعة:

قولهم إن كتب العهد العتيق قد بشرت بمسألة الصلب ونوهت بها تنويهاً.

ونحن نقول: إن هذا غير مسلم بل أنتم الذين تأولتم عبارات من تلك الكتب وجعلتموها مشيرة إلى هذه القصة، أو كما قال السيد جمال الدين إنكم فصلتم قميصاً من

تلك الكتب وألبستموها للمسيح، كما أنكم تدعون إن الذبائح الوثنية كانوا يشيرون بها إلى صلب المسيح، فكأن جميع خرافات البشر وعباداتهم حجج لكم على عقيدتكم هذه، وإن كانوا قد سبقوكم إلى مثلها، على أن كثيراً من تلك العبارات حجة عليكم لا لكم.

الشبهة الخامسة:

يقولون إذا جاز أن يُشتبه في المسيح ويَجهل شخصه الجنود الذين جاؤوا للقبض عليه والحكام ورؤساء الكهنة الذين طلبوا صلبه بعد القبض عليه، فهل يجوز أن يشتبه في ذلك تلاميذه ومريدوه الذين يعرفونه حق المعرفة؟!

ونقول: إنه عُهِدَ بين الناس أن يشبه بعضهم بعضاً شبهاً تاماً بحيث لا يميز أحد المتشابهين المعاشرون والأقربون، وقد يكون هذا بين الغرباء كما يكون بين الأقربين، ولعله يقل في الذين يسافرون ويتقلبون بين الكثير من الناس من لم يقع له الاشتباه بين من يعرف ومن لا يعرف، وقد وقع لي غير مرة أن أسلم على رجل غريب أشتبه عليّ بصديق لي ثم أعرف بعد الحديث معه أنه غيره، وإننا لزيادة البيان نورد قليلاً من الشواهد عن الإفرنج الذين يثق دعاة النصرانية عندنا بهم ما لا يثقون بغيرهم لأن هؤلاء الدعاة من أبناء جنسهم أو مقلدتهم.

قال صاحب كتاب التربية الاستقلالية (إيل القرن التاسع عشر) حكاية عن كتاب كتبته امراة الدكتور إراسم إلى زوجها ما نصه: لقد كثر ما لاحظت أنه يوجد في بعض الأحوال بين شخصين مختلفين في الذكورة والأنوثة والموطن تشابه كالذي يوجد بين أفراد أسرة واحدة، مع أن كلاً منهما يكون أجنبياً من الآخر من كل الوجوه، أتدري من هو الذي حضرت صورته في ذهني عند وقوع بصري على السيدة وارنجتون؟ ذلك هو صديقك يعقوب نقولا، خلتني أراه بذاته في زي امرأة. انتهىٰ. فهذا مثال لرأي الكاتب في تشابه الناس.

وفي رسالة نشرت في المجلد الحادي عشر من «المنار» ما نصه (ص ٣٦٨):

ويوجد في كتب الطب الشرعي حوادث كثيرة في باب تحقيق الشخصيات دالة على أنه كثيراً ما يحدث للناس الخطأ في معرفة بعض الأشخاص ويشتبهون عليهم بغيرهم، وقد ذكر جاي وفرير مؤلّفا كتاب «أصول الطب الشرعي» في اللغة الانكليزية حادثةً استحضر ١٥٠ شاهداً لمعرفة شخص يدعي مارتين جير فجزم أربعون منهم أنه هو هو، وقال خمسون إه غيره، والباقون ترددوا جداً ولم يمكنهم أن يبدوا رأيا ثم اتضح من التحقيق أن هذا الشخص كان غير مارتين جير وانخدع به هؤلاء الشهود المثبتون، وعاش مع زوجة مارتين، ولما حكمت المحكمة عليه لظهور كذبه بالدلائل القاطعة استأنف الحكم في محكمة أخرى، فأحضر ثلاثون شاهداً آخرون فأقسم عشرة منهم بأنه هو مارتين وقال سبعة: إنه غيره، وتردد الباقون، وقد حدثت هذه الحادثة سنة ١٥٣٩ في فرنسا، وأمثالها كثير. وقد بلغ من شبه بعض الأشخاص لغيرهم أنْ وُجد فيهم بعض ما يوجد في غيرهم ممن شابههم من الكسور أو الجروح أو آثارها أو غير ذلك، حتى تعسر تمييز بعضهم عن بعض، ولذلك جد الأطباء في وضع مميزات لأشخاص البشر المختلفين. انتهىٰ.

الوجه الثاني: إن هذه الحادثة من خوارق العادات التي أيد الله بها نبيه عيسى بن مريم وأنقذه من أعدائه، فألقى شبهه على غيره وغير شكله هو فخرج من بينهم وهم لا يشعرون، وفي أناجيلهم وكتبهم جمل متفرقة تؤيد هذا الوجه الذي أشرنا إلى بعضها من قبل، منها: *قوله لهم إنهم يشكون فيه يومئذٍ*، ومنها : *أنه يتشكل بغير شكله*، ومنها: *أنه* طلب من الله أن يعبر عنه هذه الكأس، أي قتله وصلبه إن أمكن، ولا شك أن هذا من الممكنات الخاضعة لمشيئة الله وقدرته.

ويمكن أن يستدل على استجابة الله لدعائه بقول يوحنا حكايةً عنه في سياق قصة الصلب من آخر الفصل ١٦: «ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم»، قال هذا بعد إخبارهم بأنه تأتي ساعة يتفرقون عنه ويبقى وحده ولكن الله يكون معه؛ أي بعونه وحفظه، وفي هذا المعنى قول متى: (٢٦: ٥٦): «حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا»، وقول مرقص (١٤: ٥٠): «فتركه الجميع وهربوا»، فهذا نص في أن التلاميذ كلهم هربوا حين جاء الجند ليقبضوا على المسيح، فلم يكن الذين يعرفونه حق المعرفة هنالك.

ومما يدل على استجابة الله دعوته بأن ينقذه ويعبر عنه تلك الكأس عبارة المزمور ١٠٩ التي يقولون إن المراد بها المسيح، وهذا نصها: «(٢٦) أعنّي يا رب، إلهي خلصني حسب رحمتك (٢٧) وليعلموا أن هذه يدك أنت يا رب فعلت هذا (٢٨) أما هم فيلعنون وأما أنت فتبارك، قاموا وخزوا، أمّا عبدك فيفرح (٢٩) ليلبس خصمائي خجلاً وليتعطفوا بخزيهم كالرداء (٣٠) أحمد الرب جداً بفمي وفي وسط كثيرين أسبحه (٣١) لأن يقوم عن يمين المسكين ليخلصه من القاضين على نفسه».

وفي العبارات التي يحملونها على المسيح شواهد أخرى بمعنى هذا.

الشبهة السادسة:

يقولون: إذا كان المسيح قد نجا من أعدائه بعناية إلهية خاصة، فأين ذهب؟ ولماذا لم يقف له أحد على عين ولا أثر؟

والجواب: إن هذه الشبهة لا ترد على الذين يقولون إنه رفع بروحه وجسده إلى السماء، وإنما ترد على الذين قالوا إن الله توفاه في الدنيا ثم رفعه إليه كما رفع إدريس عليهما السلام، ويقول هؤلاء: لا غرابة في الأمر، فإن أخاه موسى عليه السلام كان بين الألوف من قومه، الخاضعين لأمره ونهيه، وقد انفرد عنهم، ومات في مكان لم يعرفه أحد منهم،

فكيف يستغرب أن يفر عيسى عليه السلام من قوم أعداء لا ولي له فيهم ولا نصير إلا أفراد من الضعفاء، وقد انفضوا من حوله وقت الشدة، وأنكره أمثلهم (بطرس) ثلاث مرات؟ لا بدع إذا ذهب إلى مكان مجهول ومات فيه كما مات موسى عليهما السلام، ولم يعرف قبره أحد، كما هو منصوص في آخر سفر تثنية الاشتراع من أسفار التوراة.

الشبهة السابعة:

يقولون: إنكم تأخذون بقول إنجيل برنابا وغيره بالموضوع وأقوال مبتدعة النصارى الأولين الذين زعموا أن (يهوذا) هو الذي صُلِب لا المسيح، مع أن يهوذا قد انتحر كما ثبت في الإنجيل.

ونقول في الجواب: اتفقت النصارى على القول بأن يهوذا الاسخريوطي هو الذي دل على يسوع المسيح، وكان يهوذا هذا رجلاً عامياً من بلدة تسمى (خربوت)، في أرض يهوذا تبع المسيح وصار من خواص أتباعه الذين يلقبونهم بالتلاميذ الاثنى عشر الذين بشرهم بأنهم يكونون معه في الملكوت على اثنى عشر كرسياً ويدينون بني إسرائيل، أي يحاسبونهم في يوم الدين.

ومن الغريب أن يهوذا كان يشبه المسيح في خلقه كما نقل جورج سايل الإنكليزي في ترجمته للقرآن المجيد فيما علقه على سورة آل عمران، وعزى هذا القول إلى (السيرنثيين والكربوكراتيين) من أقدم فرق النصارى الذين أنكروا صلب المسيح وصرَّحوا بأن الذي صُلب هو يهوذا الذي كان يشبهه شبهاً تاماً.

وقالوا إن يهوذا أسف وندم على ما كان من إسلامه المسيح إلى اليهود حتى حمله ذلك على بخع نفسه (الانتحار) فذهب إلى حقل وخنق نفسه فيه (متى ٢٧: ٣ – ١٠)، أو علقها (أعمال ١ : ١٨)، وغرضنا من هذا الخبر بيان أنهم معترفون بأن يهوذا فقد بعد

حادثة الصلب ولم يظهر في الوجود، وأنهم يدعون أن سبب هذا هو قتلُ نفسه من الحزن والأسف.

واختلف الرسل في كيفية القتل وإن كانوا معصومين! ونحن نرى أنه إنما فقد لأنه هو الذي صلب، والمسيح هو الذي نجاه الله تعالى ورفعه، فإنّ الذي يحمله انفعاله وألم نفسه على أن يبخع نفسه بيده خنقاً أو شنقاً، لا يستبعد منه أن يبسلها بالاستسلام إلى من يتولى ذلك عنه فإنه أهون عليه، فمن المعقول أن يكون يهوذا عندما دل اليهود على المسيح في الليل رأى بعينيه عناية الله تعالى بإنجائه وإنقاذه من بين أيديهم (كما أنجى أخاه محمداً عليهما الصلاة والسلام من أيدي كفار قريش، وكانوا أشد معرفةً له من معرفة اليهود للمسيح لأنهم لم يكونوا يحتاجون إلى بذل المال لمن يدلهم عليه ـ كما بذلت اليهود ثلاثين قطعة من الفضة ليهوذا ـ فخرج ليلة الهجرة من بين الذين كانوا ينتظرونه عند داره ليقتلوه ولم يبصروه) فلما رأى يهوذا ذلك وعلم درجة عناية الله تعالى بعبده ورسوله عظم ذنبه في نفسه واستسلم للموت ليكفر الله عنه ذنبه كما كفر ذنب الذين اتخذوا العجل من بني إسرائيل بقتل أنفسهم، فأخذوه وصلبوه من غير مقاومة تذكر.

فرواية الإنجيل وسفر الأعمال عن وجدانه مخنوقاً أو مشنوقاً غير مسلمة وقد تعارض القولان فتساقطا ووجب اعتماد قول برنابا الذي أخذ به بعض قدماء النصارى.

وإذا كان إيمان يهوذا قوياً إلى هذه الدرجة، درجة الانتحار والبخع من ألم الذنب، فليت شعري لماذا لا تقبل توبته ولا ينفعه إيمانه حتى ادعوا أنه مات كافراً، وأن كرسيه في الملكوت سيبقى خالياً، وبشارة المسيح له لا تكون صادقة؟ ولماذا تقبل توبة بطرس الذي أنكر المسيح وتركه، ولعنه المسيح في حياته وسماه شيطاناً، على أن توبته دون توبة يهوذا، وما كان يهوذا إلا متمماً لذريعة الفداء التي هي أساس الدين عندهم!

الشبهة الثامنة:

يقولون: إن المسيح قد قام من قبره بعد موته ودفنه وظهر للنساء ولتلاميذه ولأناس آخرين، وأرى بعضهم آثار المسامير في جسده، وقد اتفقت على قيامه جميع الأناجيل، فكيف يجمع بين هذا وبين القول بأن الذي صلب غيره!

ونقول:

أولاً: إنه لا ثقة لَنا برواية هذه الأناجيل، وبينا الدليل على عدم الثقة بها بالاختصار، ومنها تعارضها في هذه المسألة، ونبينها هنا بشيء من التطويل.

ثانياً: إنه يحتمل أن يكون لهذه الدعوى سبب ثم توسع القوم فيها كما هي عادتهم في الروايات عن العجائب والمستغربات، حتى تسنى لبولس ومريديه أن يفرغوها في هذا القالب الذي نراه في كتب العهد الجديد وسنرى بيان هذا قريباً.

أما البيان الأول: ففي إنجيل متى أن مريم المجدلية ومريم الأخرى (أي أم يعقوب) جاءتا وقت الفجر لتنظرا القبر، فوجدتا الملك قد دحرج الحجر وجلس عليه فأخبرهما أن يسوع قام منه وسبق تلاميذه إلى الجليل وهناك يرونه، فذهبتا لتخبرا التلاميذ فلاقاهما يسوع وسلم عليهما، وقال لهما كما قال الملك. (راجع ٢٨ متى، وهو الفصل الأخير).

وفي الفصل الأخير من مرقس: إن النساء كن ثلاثة الثالثة سالومة، وإنهن جئن القبر عند طلوع الشمس، وإنهن رأين الحجر مدحرجاً ولم يقل لمتى إن الملك كان قاعداً عليه بل قال إنهن وجدن في القبر شاباً عن اليمين، وإنه قال لهن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس: إنه يسبقكم إلى الجليل، فزاد عطف بطرس على التلاميذ، وقال إنهن هربن ولم يقلن لأحد شيئاً إذ أخذتهن الرعدة والحيرة وكن خائفات، ثم قال: إنه ظهر أولاً لمريم

المجدلية (أي دون من كان معها، خلافاً لمتى) فذهبت وأخبرت الذين كانوا معه فلم يصدقوا، ثم ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما منطلقان إلى البرية، فأخبرا الباقين فلم يصدقوا (١٤)، أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام، وهذا مما زاده متى.

وأما لوقا فلم يقل إن النساء اللواتي جئن لافتقاد القبر هن الثلاث اللواتي ذكرهن مرقس ولا الثنتين اللتين اقتصر عليهما متى، بل ذكر أنهن نساء كن جئن من الجليل مع يوسف الذي دفن يسوع ونظرن القبر والدفن، وأنهن جئن أول الفجر لا عند طلوع الشمس كما قال مرقس، وأنهن وجدن الحجر مدحرجاً فدخلن القبر ولم يجدن الجسد فيه، ولم يقل إنهن وجدن شاباً فيه عن اليمين كما قال مرقس، ولا الملك على الحجر خارجه كما قال متى، بل قال إنهن بينما كن متحيرات إذا رجلان وقفا بينهن بثياب براقة وقالا لهن: لماذا تطلبن الحي بين الأموات؟ (وهذا تعبير قد يؤيد قول من قالوا إنه لم يمت)، وذكرهن بقوله إنه يسلم ويصلب وفي اليوم الثالث يقوم، ولم يأمرهن بإخبار التلاميذ بأن يسبقوه إلى الجليل وأنهم هناك يرونه، كما قال متى ومرقس[1]، وقال إنهن رجعن وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله، فخالف مرقس الذي قال إنهن لم يقلن شيئاً، وقال إن هؤلاء النسوة هن مريم المجدلية وبونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن، وأن التلاميذ وجميع الباقين لم يصدقوهن إذ تراءى لهم كلامهن كالهذيان.

ثم ذكر أنه (أي يسوع) مشى مع اثنين منهم كانا منطلقين إلى قرية عمواس وهي على ٦٠ غلوة من أورشليم (خلافاً لمرقس الذي قال لاثنين منطلقين إلى البرية) وقال إن أعينهما أمسكت عن معرفته وإنهما ذكرا قصته وإنه كان «إنساناً نبيّاً» وإنه وبخهما ووصفهما

---

(١) تكررت عبارة: «وهناك يرونه»، وهي تفيد الحصر أي لا يرونه إلا هناك، ثم إنهم اتفقوا على أنهم رأوه في ذلك المكان ولم يصرحوا بأنهم رأوه فيه.

بالغباوة وبُطء القلوب في الإيمان، وإنهما ضيَّـفاه في القرية، وإنه لما اتكأ معهما وأخذ خبزاً وبارك وكسر وناولهما انفتحت أعينهما فعرفاه، ثم اختفى عنهما، وإنهما في تلك الساعة رجعا إلى أورشليم ووجدا الأحد عشر ـ هكذا مع أن الظاهر أنهما منهم فيكون الباقي تسعة ـ مجتمعين هم والذين معهم ويقولون: إنه ظهر لسمعان، فأخبراهم خبرهما، ولم يلبث أن ظهر لهم وأكل معهم.

وأما يوحنا فقد خالف الثلاثة فذكر في الفصل (٢٠) أن مريم المجدلية جاءت إلى القبر باكراً والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعاً فركضت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه، وقالت لهما: أخذوا السيد من القبر، فركضا إلى القبر ودخلا فيه فرأيا الأكفان موضوعة، وكانت مريم تبكي خارج القبر، ثم انحنت إلى القبر فنظرت ملاكين جالسين واحد عند الرأس والآخر عند الرجلين، وبعد الكلام معهما عن سبب بكائها التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفاً فلم تعرفه وظنت أنه البستاني، ثم تعرف إليها وأمرها أن تخبر التلاميذ بقوله «إني صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» فأخبرتهم، ثم ذكر أن التلاميذ كانوا مجتمعين عشية ذلك اليوم، والأبواب مغلقة خوفاً من اليهود، فجاء يسوع ووقف في الوسط وسلم عليهم، وإن توما لم يكن معهم فظهر له بعد ثمانية أيام، ثم ذكر في الفصل ٢١ أنه أظهر نفسه للتلاميذ على بحر طبرية فلم يعرفوه أولاً ثم اصطادوا سمكاً بأمره وحضر غداءهم.

هذا ملخَّص دعوى قيام يسوع من القبر برواية الأناجيل الأربعة، ويرى المتأمل فيها أنها متعارضة متناقضة، ومن الغريب أنه لم يصرح أحد منهم بأنه ظهر لهم في الجليل كما نقلوا عنه وعن الملك أو الملكين، والقاعدة الأصولية في المتعارضين إذا لم يمكن الجمع بينهما ولا ترجيح أحدهما على الآخر أن يقال: «تعادلا فتساقطا» وبهذه القاعدة التي لا مندوحةَ عن القول بها في هذه القصة وغيرها من التعارض في هذه الأناجيل اتقاء الوقوع

في الترجيح بغير مرجح نقول: إن روايات الأربعة ساقطة لا يعتد بشيء منها، فهذا هو بيان الوجه الأول من وجهَي الجواب.

وأما الوجه الثاني المبني على احتمال أن يكون لهذه الدعوى سبب أو أصل بني عليه، فبيانه أنه يحتمل أن يكون قد شاع في ذلك الوقت أن يسوع قد قام من قبره، وأنه رآه بعض النساء وبعض تلاميذه، واضطربت الأقوال في ذلك فكتب كل مؤلف إنجيلٍ ما سمعه، وأن يكون سبب الإشاعات تخيل مريم المجدلانية العصبية المزاج ـ التي روت هذه الأناجيلُ أن المسيحَ أخرج منها سبعةَ شياطين ـ أنها رأت المسيح وكلمته، ويجوز أن تكون الرؤية الخيالية اتفقت لغيرها أيضاً من التلاميذ أو غيرهم بعد أن سمعوها منها، ومثل هذا يقع كثيراً كما سيأتي بيانه بالشواهد.

وأمثال هؤلاء العامة لا يقدرون عل التمييز بين الحقيقة والخيال، ألم تر أنهم يروون أن المسيح وبخهم على غباوتهم وضعف إيمانهم، بعد أن كانوا عاشروه زمناً رأوا فيه ما أيده الله تعالى به من الآيات، أو لم تر أنهم ما كان بعضهم يصدق بعضاً بل يتهم بعضهم بعضاً بالكذب والهذيان، وأنهم لضعفهم تركوا نبيهم وقت الشدة وأنكره أمثلهم وارتشى عليه بعضهم! فأمثال هؤلاء الصيادين والنساء لا يستغرب منهم عدم التمييز بين الحقيقة والخيال، وطالما وقع مثل ذلك في حال الانفعالات العصبية للناس، كالحزن والخوف والعشق، يتراءىٰ للإنسان في مثل هذه الأحوال شخص يكلمه زمناً طويلاً أو قصيراً كما يحصل في الرؤىٰ والأحلام، وبعضهم يعد هذا من رؤية الأرواح، وقد راجت سوق هذه المسألة في أوربا في هذا العصر، حتى صاروا يزعمون أن فيهم من يستحضر الروح، وكان هذا معروفاً في الزمن السابق، ولذلك احترس عنه بعض مؤلفي هذه الأناجيل فقال: إنه لما ظهر لهم خافوا أو ظنوا أنهم يرون روحاً فنفى هو ذلك.

واستطرد السيد رشيا رضا في «تفسير المنار» قائلاً: وقد كنا بيَّنا هذه المسألة في كتابنا «الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية» الذي ألفناه في زمن التحصيل، ومما قلناه فيه: «إن الصوفية يفرقون بين رؤية الأرواح والرؤية الخيالية، ومما أوردناه عن صاحب كتاب «الذهب الإبريز» من القسم الثاني واقعة جرت في بلدهم فاس قال: «أخبرني بعض الجزارين أنه مات له ولد كان يحبه كثيراً وأنه لم يزل شخصه في فكره حتى أن عقله وجوارحه كانت كلها معه، فكان هذا دأبه ليلاً ونهاراً إلى أن خرج ذات يوم إلى باب الفتوح أحد أبواب فاس حرسها الله تعالى لشراء الغنم على عادة الجزارين فجال فكره في أمر ولده الميت، فبينما هو يجول فكره إذ رآه عياناً وهو قادم إليه حتى وقف إلى جنبه، قال: فكلمته، وقلت له: يا ولدي خذه هذه الشاة ـ لشاة اشتريتها ـ حتى أشتري أخرى، وقد حصلت غيبة قليلة عن حسي، فلما سمعني من كان قريباً أتكلم مع الولد، قالوا: مع من تتكلم أنت؟ فلما كلموني رجعت إلى حسي وغاب الولد عن بصري، فلا يدري ما حصل في باطني من الوجد عليه إلا الله تبارك وتعالى». انتهىٰ.

وما كل من يقع له مثل هذا يعلم أن هذه رؤية خيالية كالرؤيا المنامية، وإنني أعرف امرأة كبيرة السن من أهل بلدنا (القَلَمُون) كانت دائماً ترى الموتى وتخاطبهم وتأنس بخطابهم تارة، ويظهر عليها الانقباض أخرى، وكان أكثر حديثها مع أخٍ لها مات غريقاً، وكنت أجزم أنا وكل من عرفها بأنها غير كاذبة ولا متصنعة بل كانت هائمة في ذلك ولا تبالي بشيء.

ولا يغرّن العاقل انتشار أمثال هذه الإشاعات بين العامة، وجعلها من القضايا المسلمة، فإن هذا معهود في الناس في كل عصر، وقد بينه الفيلسوف العالم الاجتماعي غوستاف لوبون الفرنسي بياناً علمياً في الفصل الثاني من كتابه «روح الاجتماع»، وما قاله في بيان قابلية الجماعات للتأثر والتصديق وانخداع الحواس والفكر ما يأتي ملخَّصاً:

«إن سرعة تصديق الجماعة ليس هو السبب الوحيد في اختراع الأقاصيص التي تنتشر بين الناس بسرعة، بل لذلك سبب آخر وهو التشويه الذي يعتور الحوادث في مخيلة المجتمعين، إذ تكون الواقعة بسيطة للغاية فتنقلب صورتها في خيال الجماعة بلا إبطاء، لأن الجماعة تفكر بواسطة التخيلات وكل تخيل يجر إلى تخيلات ليس بينها وبينه أدنى علاقة معقولة .. ».

«ولقد كان يجب تعدد صور التشويش التي تدخلها الجماعة على حادثة شاهدتها ونوع تلك الصور؛ لأنّ أمزجة الأفراد الذين تتكون هي منهم مختلفة متباينة بالضرورة، لكن المشاهد غير ذلك، والتشويش واجب عند الكل بعامل العدوى، لأن أول تشويش تخيله واحد من الجماعة يكون كالخميرة تنتشر منه العدوى إلى البقية، فقبل أن يرى جميع الصليبيين القديس جورج فوق أسوار بيت المقدس كان بالطبع قد تخيله أحدهم أولاً فما لبث التأثر والعدوى أن مثلاه للبقية جسماً مرئياً».

«هكذا وقعت جميع التخيلات الاجتماعية الكثيرة التي رواها التاريخ وعليها كلها مسحة الحقيقة لمشاهدتها من الألوف المؤلفة من الناس».

«ولا ينبغي في رد ما تقدَّم الاحتجاج بمن كان بين تلك الجماعات من أهل العقل الراجح والذكاء الوافر لأنه لا تأثير لتلك الصفة في موضوعنا إذ العالم والجاهل سواء في عدم القدرة على النظر والتمييز ما داموا في الجماعة، ورب معترض يقول: إن تلك سفسطة لأن الواقع غير ذلك إلا أن بيانه يستلزم سرد عدد عظيم من الحوادث التاريخية ولا يكفي لهذا العمل عدة مجلدات غير أني لا أريد أن أترك القارئ أمام قضايا لا دليل عليها، ولذلك سآتي ببعض الحوادث أنقلها بلا انتقاء من بين الألوف من الحوادث التي يمكن سردها».

«وأبدأ برواية واقعة من أظهر الأدلة في موضوعها؛ لأنها واقعة خيال اعتقدته جماعة ضمت إلى صفوفها من الأفراد صفوفاً وأنواعاً ما بين جاهل غبي، وعالم ألمعي، رواها عرضاً ربان السفينة (جوليان فيليكس) في كتابه الذي ألفه في مجاري مياه البحر وسبق نشرها في (المجلة العلمية) قال:

«كانت المدرعة (لابيل بول) تبحث في البحر عن الباخرة (بيرسو) حيث كانت قد انقطعت عنها بعاصفة شديدة وكان النهار طالعاً والشمس صافية، وبينما هي سائرة إذا بالرائد يشير إلى زورق يساوره الغرق فشخص رجال السفينة إلى الجهة التي أشير إليها ورأوا جميعاً من عساكر وضباط زورقاً مشحوناً بالقوم تجره سفن تخفق عليها أعلام البأس والشدة، وكل ذلك كان خيالاً فقد أنفذ الربان زورقاً صار ينهب البحر إنجاداً للبائسين، فلما اقترب منهم رأى من فيه من العساكر والضباط أكداساً من الناس يموجون ويمدون أيديهم، وسمعوا ضجيجاً مبهماً يخرج من أفواه عديدة، حتى إذا بلغوا المرئي وجدوه أغصان أشجار مغطاة بأوراق قطعت من الشاطئ القريب، وإذ تجلت الحقيقة غاب الخيال».

هذا المثال يوضح لنا عمل الخيال الذي يتولد في الجماعة بحالٍ لا يحتمل الشك ولا الإبهام ـ كما قررناه من قبل ـ فهنا جماعة في حالة الانتظار والاستعداد، وهناك رائد يشير إلى وجود مركب حفه الخطر وسط المياه، فذلك مؤثر سرت عدواه فتلقاه كل من في الباخرة من عساكر وضباط بالقبول والإذعان.

ثم بيَّن المؤلف أن مثل هذا الانخداع يقع للجماعات المؤلفة من العلماء فيما هو بعيد عن اختصاصهم العلمي، واستشهد على ذلك بالواقعة الآتية:

قال: « ومن الأمثلة على ذلك ما رواه لنا مسيو داني أحد علماء النفس المحققين وقد نشرته مجلة «أعصُر العلوم النفسية» وهو:

دعا مسيو داني جماعة من كبار أهل النظر منهم عالم من أشهر علماء إنكلترا وهو مستر ولاس وقدم لهم أشياء لمسوها بأيديهم ووضعوا عليها ختوماً كما شاءوا ثم أجرى أمامهم جميع ظواهر فن استخدام الأرواح من تجسيم الأرواح، والكتابة على الألواح، حتى كتبوا له شهادات قالوا فيها إن المشاهدات التي وقعت أمامهم لا تنال إلا بقوة فوق قوة البشر، فلما صارت الشهادات في يده بين لهم أن جميع ما عمله شعوذة بسيطة جداً، قال راوي الحادثة: ليس الذي يوجب الدهشة والاستغراب في هذه المسالة هو إبداع داني ومهارته في الحركات التي عملها بل هو ضعف الشهادات التي كتبها أولئك العلماء، ثم استنتج المؤلف من ذلك أنه إذا كان انخداع العلماء بما لا حقيقة له واقعاً فما أسهل انخداع العامة!

ثم ذكر حادثة وقعت في أثناء كتابته لهذا البحث وخاضت فيها جرائد باريس وكان منشأ الانخداع فيها الشبه الذي هو موضوع بحثنا، قال (في ص ٥٠ من النسخة العربية المترجمة): «أنا أكتب هذه السطور والجرائد ملأى بذكر غرق بنتين صغيرتين وإخراج جثتيهما من نهر (السين) عُرِضت الجثتان فعرفهما بضعة عشر شخصاً معرفةً مؤكدة، واتفقت أقوالهم فيها اتفاقاً لم يبق معه شك في نفس قاضي التحقيق فأذن بدفنهما، وبينما الناس يتأهبون لذلك ساق القدر البنتين اللتين عرفهما الشهود بالإجماع وظهر أنهما باقيتان ولم يكن بينهما وبين المفقودتين إلا شبه بعيد جداً، والذي وقع هو عين ما وقع في الأمثلة التي سردناها: تخيل الشاهد الأول أن الغريقتين هما فلانة وفلانة، فقال ذلك، فسرت عدوى التاثير إلى الباقي». انتهىٰ.

أقول: فإذا جاز في رأي علماء العصر وفلاسفته أن ينخدع العلماء الطبيعيون وغيرهم بالتخيل فكيف لا يجوز أن ينخدع به مثل مريم المجدلية العصبية (الهستيرية) وتوما وإخوانه من صيادي السمك، وإذا جاز أن يتخيل ضباط المدرعة (لابيل بول)

وعسكرها وبحارتها زورقاً يساوره الغرق فيجزمون بأنهم رأوه بأعينهم وهو مكتظ بالمستنجدين المستغيثين وهم يرون أيديهم تومئ وتشير، ويسمعون جلبتهم بالصياح والضجيج، وإذا جاز أيضاً أن يتخيل جماهير الصليبيين القديس جورج فوق أسوار بيت المقدس، فيظنوا أنهم رأوه حقيقة، فلماذا لا يجوز مثل هذا التخيل في أولئك الأفراد الذين نقل عنهم أنهم رأوا المسيح بعد حادثة الصلب إن صَحَّتِ الرواية على انقطاع سندها! وإذا جاز أن يجزم بضعة عشر شاهداً في البنتين اللتين غرقتا في نهر السين جزماً مبيناً على ما شبه لهم، فلماذا لا يجوز أن يجزم بمثل ذلك في يهوذا الذي كان يشبه المسيح، من لم يكونوا يعرفون المسيح؟!

وخلاصة القول: إن قصة الصلب ليس لها سند متصل إلى الأفراد الذين رويت عنهم، وأولئك الأفراد الذين رددوها غير معروفين معرفةً يقينيةً كما يعلم من «دائرة المعارف الفرنسية» وغيرها من الكتب التي ألفها علماء أوربا الأحرار.

وإن الذي يؤخذ من مجموع تلك الروايات المنقطعة الإسناد أنّ أول من وضع هذه العقيدة النصرانية المعروفة الآن هو بولس اليهودي الذي كان أشد أعداء المسيح عليه السلام وألد خصوم أتباعه خصاماً، ثم رأى أنه لا يتمكن من نكايتهم وإفساد أمرهم إلا بدخوله فيهم، ففعل، وعلى تقدير وقوع الصلب ورؤية المسيح بعده فالذي يقرب من المعقول في تصويره هو ما بيَّناه. انتهىٰ. بتصرُّفٍ وحذفٍ من «تفسير المنار».

* * *

التعمـيد

جاء في إنجيل متى (٢٨: ١٩): «فقدم يسوع وكلمهم قائلاً: دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن وروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيكم به».

وجاء في إنجيل مرقس (١٦: ١٦): «وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدن».

وقال صاحب كتاب «الأصول والفروع»: «فريضة مقدسة يشار فيها بالغسل بالماء باسم الآب والابن والروح القدس إلى تطهير النفس من أدران الخطية بدم يسوع المسيح، وهي ختم عهد النعمة كما كان الختان في الشريعة الموسوية، والمعمودية تدل على اعترافهم العلني بإيمانهم وطاعتهم للآب والابن والروح القدس كإلههم ومعبودهم الوحيد، ولا يجوز أن يعمدوا إلا إذا اعترفوا بإيمانهم جهارا أمام كنيسة الله».

جاء في «قاموس الكتاب المقدس» ص٦٣٧: «وقد اختلفت وجهات نظر المسيحيين حول المعمودية، وكان الجدال الأكبر حول قضيتين: نوع المعمودية، ومعمودية الصغار والكبار. فقد قال بعض المسيحيين أن المعمودية لا تصح إلا بتغطيس الإنسان تغطيساً كاملاً، أو بتغطيسـه ثلاث مرات، وليس مرة واحدة، كما قال البعض، إلا أن أغلبية المسحيين تكتفي برش الماء على الوجه، لأن المقصود من وضع الماء هو الإشارة إلى غسل الروح القدس، لذلك كانت كمية الماء غير مهمة في الموضوع، وقال بعض

المسيحيين إنه لا لزوم لتعميد الأطفال، وأن الاعتماد للمؤمنين فقط، أي: الذين تعدوا مرحلة الطفولة وبلغوا سن الرشد، بحيث يمكن لهم فهم الخلاص والاعتراف بالتوبة، إلا أن أغلبية المسحيين تعتبر معمودية الصغار واجبة، ماداموا أطفالاً لمؤمنين، وذلك علامة على الميثاق بين الله وبينهم». انتهى.

* * *

العشاء الرباني

ورد ذكره في الإصحاح السادس والعشرين من إنجيل متى، إذ يقول: «وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ، وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا، وأقول لكم: إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي».

وجاء في رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس ما نصه: «إن الرب يوسع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزاً، وشكر فكسر، وقال: خذا كلوا هذا، هو جسدي المكسور لأجلكم، اصنعوا هذا لذكري، كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشوا، قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي، اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري، فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز و شربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء».

ويقول صاحب كتاب «الأصول والفروع» في العشاء الرباني: «هو فريضة رسمها المسيح في الليلة التي أسلم فيها الجسد، ويستعمل في هذه الفريضة قليل من الخبز والخمر، فيأخذ كل من المؤمنين لقمة من الخبز، وقليلاً من الخمر على المثال الذي رسمه المسيح تذكاراً لموته، فالخبز يشير إلى جسده المكسور، والخمر إلى دمه المسفوك، فالمؤمنون الذين يشتركون في هذا العشاء يقبلون المسيح بالإيمان كالخبز الذي نزل من السماء، وكل من يأكل منه لا يجوع، ولكنهم لا يقبلونه طعاماً جسدياً بل طعاماً روحياً لحياة روحية لأجل النمو في النعمة والإيمان».

ويقول أيضاً: «ويشير العشاء الرباني إلى مجيء المسيح الثاني، كما يشير إلى موته، فيكون تذكاراً للماضي والمستقبل».

وجاء في «الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام» للدكتور علي عبد الواحد وافي:

«وقد جرى المسيحيون على محاكاة هذا العشاء في بعض أعيادهم على الأخص، ويعتبرون ذلك من أهم عباداتهم، وجرت العادة أن تُعدَّ الكنائس خبزاً وخمراً بطقوس خاصة ليتناولها المصلون، ويعتقدون أن الخبز والخمر قد أصبحا بعد إعدادهما على هذه الصورة أجزاء من جسد المسيح ودمه، فالخبز أصبح قطعة من جسده، والخمر أصبح قطرات من دمه، وبذلك يمتزج لحم المسيح ودمه بلحم من يتناولها وبدمه، ويدعو تناولهما إلى تذكير الرب وما حدث له لتخليص الإنسانية من خطاياها واستحضار مجيئه يوم القيامة ومحاسبته للناس، فهو في نظرهم امتزاج بالعنصر الإلهي من جهة وتذكر للماضي وتخيل واستحضار للمستقبل من جهة أخرى».

وبذلك يصرح القرار الذي صدر من مجمعي «ترنت» المنعقدين سنتي ١٥٤٥ و١٥٦٣، إذ يقول: « قد اعتقدت كنيسة الله دائماً بأنه بعد التقديس يوجد ربنا الحقيقي مع نفسه ولاهوته تحت أعراض الخبز والخمر... لأن يسوع المسيح هو بكماله تحت شكل الخبز وتحت أصغر أجزاء هذا الشكل، كما أنه هو أيضاً تحت شكل الخمر وجميع أجزائه، وقد اعتقدت الكنيسة أيضاً اعتقاداً ثابتاً بأنه بتقديس الخبز والخمر يستحيل كامل جوهر الخبز إلى جوهر جسد ربنا، وكامل جوهر الخمر إلى جوهر دمه...».

فالكنيسة الشرقية تحافظ على حرفية النص السابق في إنجيل متى، فتوجب استخدام الخبز في العشاء الرباني، بينما تبيح الكنيسة الغربية استبدال الفطائر بالخبز». انتهى.

امتلاك الكنيسة حق الغفران للمسيء

قرره المجمع الثاني عشر من مجامع الكنيسة الكاثوليكية، وهو المجمع المسمى باللاتيراني الرابع المنعقد سنة ١٢١٥م.

جاء في كتاب تاريخ الكنيسة في بيان قرار المجمع في هذا الشأن: «أنهى المجمع تعاليمه فيما يتعلق بأمر الغفران، فقال: «إن يسوع المسيح لما كان من قلد الكنيسة سلطان منح الغفرانات، وقد استعملت الكنيسة هذا السلطان الذي نالته من العلا منذ الأيام الأولى قد أعلم المجمع المقدس، وأمر بأن تحفظ للكنيسة في الكنيسة هذه العملية الخلاصية للشعب المسيحي، والمثبتة بسلطان المجامع.

ثم ضرب بسيف الحرمان من يزعمون أن الغفرانات غير مفيدة، أو ينكرون على الكنيسة سلطان منحها[١]: غير أنه قد رغب في أن يستعمل هذا السلطان باعتدال واحتراز حسب العادة المحفوظة قديماً، والمثبتة في الكنيسة، لئلا يمس التهذيب الكنسي تراخ بفرط التسهيل».

جاء في كتاب «محاضرات في النصرانية» للشيخ محمد أبو زهرة، ص ١٨٥:

---

(١) جاء في إنجيل متى (ص١٨: ع١٨): «الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء». جاء في إنجيل يوحنا (ص٢٠: ع٢٣): «من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت».

«لقد ابتدأت الكنيسة حق الغفران بمسألة الاعتراف بالذنوب عند الموت والتوبة، ثم تولى القسيس مسح هذه الذنوب والشخص يودع الدنيا، ثم انتقلت من ذلك إلى أنْ جعلت لنفسها الحق في الغفران، والشخص قوي يستقبل الحياة، ولا يودعها ويقبل على متعها، ولا يدبر عنها، وغالت فجعلت لنفسها غفران ما تقدم وما تأخر من الذنوب، ثم أغرقت في المغالاة فاتخذها رجال الدين باباً من أبواب الكسب للكنيسة، ثم إنهم ينفقون ما يجمعون من مال فيما يحله الدين والأخلاق، وما قد يحرمانه، وبذلك طم السيل، حتى جاوز الحزام الطيبين». انتهىٰ.

ويقول الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه «الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: «وقد أفرط رجال الكنيسة الكاثوليكية إفراطاً كبيراً في استخدام هذا الحق حتى لقد أنشأوا صكوكاً للغفران تباع وتشترى، واتخذتها الكنيسة مورداً هاماً لكسب المال، فلم يستكثر الناس بذل الأموال في الحصول عليها، ما دامت تكفل لهم غفران ما ارتكبوه وما يرتكبونه من معاص وآثام». انتهىٰ.

وفيما يلي نص صك الغفران الذي كان يباع بيع السلعة:

«ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان، ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة، وأنا بالسلطان الرسولي المعطي لي أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطلائات الكنسية التي استوجبتها، وأيضاً من جميع الأفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علة وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا، والكرسي الرسولي، وأمحو جميع أقذار المذنب، وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة، وأرفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابدتها في المطهر، وأردك حديثاً إلى الشركة في أسرار الكنيسة، وأقربك في شركة القديسين، أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك، حتى إنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل

منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح، وإن لم يمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة، حتى تأتي ساعتك الأخيرة، باسم الآب والابن والروح القدس».

* * *

المذهب البروتستانتي، أو: الإصلاح الديني

«في أوائل القرن السادس عشر ظهر في العالم المسيحي، بجانب النِّحَل السابق ذكرها، نِحلة جديدة أطلق عليها اسم البروتستانتية، أي نحلة الاحتجاج أو الاعتراض، وأطلق على معتنقيها اسم البروتستانت أي المحتجين أو المعارضين.

وقد دعا إلى ظهور هذه النحلة أمور كثيرة، يرجع أهمها إلى مظاهر الفساد التي بدت في كثير من شؤون الكنيسة الكاثوليكية ومناهجها وطقوسها، وما أحدثته من بدع، ومسلك قسيسيها والقوامين عليها، وإلى تحكمها في تفسير كل شيء، ومحاولة فرض آرائها على جميع أتباعها حتى الآراء التي لا علاقة لها بالدين كالآراء المتعلقة بظواهر الفلك والطبيعة وشؤون السياسة ونظم الحكم وما إلى ذلك.

فمن ذلك ما اتخذه مجمع لاتيران الرابع المنعقد سنة ١٢١٥ بشأن الهراطقة، إذ أباح للكنيسة استئصالهم، وكانوا يعنون بالهراطقة كل من يرى رأياً يخالف رأي الكنيسة ولو كان في أمور تتعلق بشؤون السياسة ونظم الحكم، أو بمسائل العلوم كظواهر الفلك والطبيعة والأحياء.

وقد نفذ ذلك القرار بالفعل في كثير من دعاة الإصلاح في الدين، وممن خالفوا آراء الكنيسة في شؤون السياسة ومسائل العلوم، فكان يحكم عليهم بالإعدام رجماً أو حرقاً، ويحرق معهم ما عسى أن يكون لهم من بحوث ومؤلفات.

وأنشئ لمحاكمة الهراطقة والمخالفين لآراء الكنيسة في الشؤون الدينية وغيرها،

وللمزاولين لأعمال السحر؛ محاكمُ خاصة اشتهر معظمها باسم (محاكم التفتيش)، وراح ضحية تفتيشها وتحقيقاتها الغريبة آلاف من الأنفس أخذ معظمهم بالظنة والوشاية والكيد، وحتى الملوك أنفسهم لم يكونوا بمنجاة من هذا العسف، فقد حكمت الكنيسة على بعضهم بالطرد والحرمان لجنوحهم لمخالفتها والخروج على طاعتها في بعض الشؤون.

ومن ذلك ما سارت عليه كنيسة روما من فرض إتاوات وضرائب باهظة على التابعين لها، وما كان ينفق إلا القليل من حصيلة هذه الإتاوات والضرائب على الشؤون المسيحية العامة، ومعظمه كان يتوزعه رجال الكنيسة بينهم وينفقونه في شؤون ترفهم وشهواتهم.

ومن ذلك تحريم الكنيسة الكاثوليكية على القسس والرهبان والراهبات الزواج، وما أدى إليه ذلك التحريم من انتشار الفسق والفجور بين رجالها ونسائها، حتى لقد كان القسس والرهبان يتصلون بالراهبات أنفسهن ويبررون ذلك بأنه ضربٌ من (المساكنة الروحية)!

ومن ذلك ما كانت تذهب إليه الكنيسة في صدد (العشاء الرباني) من تفسيرات غريبة لا يسيغها عقل سليم، إذ تزعم أن الخبز والخمر اللذين تعدهما ليتناولها المصلون في بعض الأعياد على الأخص يستحيلان إلى أجزاء من جسم المسيح ودمه، كما سبق بيان ذلك.

ومن ذلك ما اتخذه أحد مجامعهم بشأن غفران الذنوب، فقد قرر أن من حق رجال الكنيسة الكاثوليكية أن يغفروا للمسيء ذنوبه في حالة احتضاره وفي حالة صحته، وأن يغفروا ما تقدم منها وما تأخر، وقد أفرط رجال الكنيسة الكاثوليكية إفراطاً كبيراً في استخدام هذا الحق حتى أنشؤوا صكوكاً للغفران تباع وتشترى كما سبق بيانه.

لهذه الأسباب وأسباب أخرى كثيرة من هذا القبيل ظهر في القرن السادس عشر دعاة للإصلاح الديني وتخليص المسيحية من هذه الأدران وتكونت من إصلاحاتهم نحلة جديدة هي النحلة البروتستانتينية، وكان على رأس هؤلاء المصلحين مارتن لوثر الألماني، وزونجلي السويسري، وكلفن الفرنسي.

هذا؛ ولا تختلف البروتستانتينية على النحل السابقة فيما يتعلق بجوهر العقيدة، فهي مثلها تؤمن بالتثليث، وألوهية المسيح، وبنوته لله، وصلبه، وقيامته، ورفعه، وحسابه للعالم يوم القيامة، وبأنه صلب لتكفير الخطيئة الأزلية التي ارتكبها آدم وعلقت بجميع نسله، وما إلى ذلك من الأمور التي استقرت عليها العقيدة المسيحية، والتي أشرنا إليها فيما سبق.

وإنما تختلف البروتستانتينية عن غيرها من النحل المسيحية بوجه عام وعن الكاثوليكية بوجه خاص في أمور فرعية من أهمها ما يلي:

١ـ تستمد البروتستانتينية جميع الأحكام المتعلقة بالعقائد والعبادات والشرائع من الكتاب المقدس وحده، ولا تقيم لغيره وزناً في هذا الصدد، إلا إذا كان تفسيراً معقولاً، لما ورد في هذه الكتاب، على حين أن الكنائس الأخرى تستمد أحكامها من الكتاب المقدس ومن قرارات المجامع وآراء البابوات ورؤساء الكنائس.

ومن ثم سميت الكنائس البروتستانتينية (الكنائس الإنجيلية) لاعتمادها على الإنجيل خاصة وعلى سائر أسفار الكتاب المقدس بوجه عام، بينما سميت الكنائس الأخرى الكنائس التقليدية لاعتمادها على التقاليد المستمدة من المجامع ومن آراء رؤساء الكنيسة وجعلها لهؤلاء الرؤساء سلطاناً في تقرير حقائق العقائد والعبادات والشرائع.

٢ـ لا تقر البروتستانتينية البابوية أو الرياسة العامة في شؤون الدين، ولذلك ليس لكنائسهم رئيس عام كما هو الشأن في الكنائس الأخرى، وإنما تجعل لكل كنيسة

بروتستانتينية رياسة خاصة بها، وليس لها إلا سلطان الوعظ والإرشاد والقيام على شؤون العبادات والواجبات الدينية الأخرى، وعلى تعليم مسائل الدين، ولا يسمون رجال الدين قسساً كما هو الشأن في الكنائس الأخرى، وإنما يسمونهم رعاة لأنهم يرعون تابعي كنيستهم ويؤدون لهم ما يجب على الراعي أن يؤديه نحو رعيته من واجبات.

٣ـ ليس في البروتستانتينية نظام الرهبنة، وهي لا تحرم الزواج على رجال الدين كما تحرمه الكاثوليكية على جميع الرهبان والقسس بمختلف درجاتهم.

٤ـ تنكر البروتستانتينية كل الإنكار أن يكون لرجل الدين الحق في غفران الذنوب في حالة الاحتضار وغيرها، وإنما تجعل ذلك الحق لله وحده، فيقبل إن شاء توبة العاصي ويغفر له ما تقدم من ذنبه، بل إن أهم ما اتجهت البروتستانتينية في نشأتها إلى القضاء عليه هو ما كانت تزعمه الكنيسة الكاثوليكية لرجالها من السلطان في محو الذنوب، وما تبع هذا الزعم من نظام صكوك الغفران، كما تقدم بيان ذلك.

٥ـ تقرر البروتستانتينية أن الغرض من أكل الخبز وشرب الخمر في العشاء الرباني هو أن يكون وسيلة رمزية لتذكر ما قام به المسيح في الماضي، إذ قدم جسمه للصلب ودمه للإراقة، لتخليص الإنسانية من الخطيئة الأزلية، ولتذكر ما سنقوم به يوم القيامة إذ يدين الناس ويحاسبهم على ما كسبت أيديهم، وبذلك تنكر البروتستانتينية كل الإنكار ما تذهب إليه الكنائس الأخرى إذ تزعم أن ما تجريه على الخبز والخمر من طقوس يحولهما إلى أجزاء من جسم المسيح ومن دمه، كما تقدم بيان ذلك.

٦ـ تنكر البروتستانتينية إنكاراً باتاً جميع ما تقيمه الكنائس الأخرى للسيدة مريم أم المسيح من طقوس واحتفالات وعبادات وأعياد، وتعتبر ذلك خروجاً على أصول الدين.

٧ـ تحرم البروتستانتينية ما تسير عليه الكنائس الأخرى من وضع الصور والتماثيل في أماكن العبادة واتجاه المصلين لها بالسجود، معتمدة على تحريم التوراة لذلك، وعلى أن

شريعة موسى شريعة للمسيحيين، إلا ما ورد نص صريح من المسيح بنسخه أو تعديله، فقد جاء في الإصحاح الخامس من سفر التثنية ـ وهو من أهم الأسفار التشريعية في التوراة المزعومة: «لا تجعل لك تمثالاً منحوتاً يمثل شيئاً ما من ظواهر السماء من فوق أو مما في الأرض من أسفل، أو مما في الماء من تحت الأرض، ولا تسجد لهن ولا تعبدهن، فإنني أنا إلهك الباقي، إله غيور أعاقب الأولاد بظلم الآباء حتى الجيل الثالث والرابع، وأسبغ نعمتي على من يخلصون لي ويتبعون أوامري وعلى ذريتهم من بعدهم إلى ألف جيل»(١).

٨ ـ تحرم البروتستانتينية أن تقام الصلاة بلغة غير اللغة المفهومة للمتعبد، كما تفعل الكنائس الأخرى، إذ تقيمها بلغة ميتة كاللاتينية والقبطية»(٢). انتهىٰ.

* * *

---

(١) فقرات ٨ -١٠ من الإصحاح الخامس من سفر التثنية.

(٢) من كتاب «الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام» للدكتور علي عبد الواحد وافي، ص١١٧- ١٢٤، بتصرف. ويحسن مراجعة البحث المتقدم ذكره : «محاضرات في النصرانية»، لفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى.

المسيح كما صورته الأناجيل

من تدبر الأناجيل تيقن أن عيسى عليه السلام ليس هو المسيح الموعود؛ لأمور ثلاثة:

أولاً: إن يواقيم بن يوشيا لما أحرق الصحيفة التي كتبها باروخ من فم أرميا، نزل الوحي على أرميا هكذا:

«الرب يقول في ضد يواقيم ملك يهوذا أنه لا يكون منه جالس على كرسي داود». [الإصحاح السادس والثلاثين من سفر أرميا].

والمسيح لا بدّ أن يكون جالساً على كرسي داود؛ ففي الإصحاح الأول من إنجيل لوقا يقول جبريل لمريم عليها السلام في حق عيسى عليه السلام: «ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه»، وعيسى عليه السلام من نسل «يواقيم» على حسب النسب المذكور في إنجيل متى، وبهذا لا يستحق أن يجلس على كرسي داود! وبالتالي لا يكون مسيحاً موعوداً!

ثانياً: إن مجيء المسيح كان مشروطاً بمجيء «إيليا» قبله، وكان من إنكار اليهود عيسى عليه السلام أن «إيليا» ما جاء قبله، ومجيئه أولاً ضروري، وقد سلم عيسى عليه السلام أيضاً أن «إيليا» يجيء أولاً، لكنه قال إنه قد جاء ولم يعرفوه، ففي العدد الرابع عشر من الإصحاح الحادي عشر من إنجيل متى يقول عيسى عليه السلام في حق يحيى: «وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي».

وفي الإصحاح السابع عشر هكذا: «(١٠) وسأله تلاميذه قائلين: فلماذا يقول الكتبة إن إيليا ينبغي أن يأتي أولاً؟ (١١) فأجاب يسوع وقال لهم: إن إيليا يأتي أولاً ويرد كل شيء (١٢) ولكني أقول لكم: إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه، بل عملوا به كل ما أرادوا، كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم (١٣) حينئذٍ فَهِم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان».

فعُلم من هذا أن يحيى هو إيليا الموعود، ولكن لما أرسل اليهود الكهنة واللاويين إلى يحيى ليسألوه هل هو إيليا، أجاب بالنفي.

وبذلك لا يكون قد جاء قبل عيسى إيليا، لأن يحيى لما اعترف أنه ليس إيليا، فالقول الذي يكون بخلافه لا يقبل، ولا يتصور أن يكون إيليا مرسلاً من الله ذا وحي وإلهام ولا يعرف نفسه، وعلى هذا لا يكون عيسى عليه السلام مسيحاً موعوداً.

هذا، وإن يحيى عليه السلام كان إلى آخر عمره شاكّاً في المسيح عليه السلام أهو المسيح الموعود أم لا؟ كما جاء في الإصحاح الحادي عشر من إنجيل متى «أنه أرسل اثنين من تلاميذه، وقال له: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر».

فلو كان عيسى عليه السلام إلهاً يلزم كفر يحيى؛ إذ الشك في الإله كفر، وكيف يتصور أنه لا يعرف إلهه وهو نبيّـه، بل هو أفضل الأنبياء بشهادة المسيح كما جاء في الإصحاح المذكور.

وإذا كان يوحنا المعمدان لم يعرف المسيح، وهو أفضل الأنبياء والمعاصر له فيكون عدم معرفة الأنبياء الآخرين السابقين لعيسى أحق بالاعتبار.

ثالثاً: جاء في سفر التثنية (ص٢٣ : ٣) «لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد».

ومن تدبر نسب عيسى وجده موآبياً عمونياً، وذلك لأن «عوبيد» جد دواد، اسم أمه «راعوث»، كما جاء في الإصحاح الأول من إنجيل متى، و«راعوث» هذه كانت موآبية من أولاد «موآب»، فهي من جدات داود وسليمان وعيسى عليهم السلام.

كما أن «رحيعام بن سليمان» من أجداد عيسى عليه السلام كما جاء في الإصحاح الأول من إنجيل متى أيضاً، وأمه كانت عمونية من أولاد «بَن عمي» كما جاء في الإصحاح الرابع عشر من سفر الملوك الأول، فهي أيضاً من جدات ابن الله الوحيد، بل الله على زعمهم، وبذلك يكون عيسى عليه السلام موآبياً عمونياً، وبالتالي لا يدخل جماعة الرب، فكيف دخلها، بل صار رئيسهم بل ابن الله على زعمهم.

وإن قيل: إن اعتبار النسب بالآباء لا بالأمهات، فلا يكون عيسى عليه السلام عمونياً ولا موآبياً؛ قلت: لو كان كذا فيلزم أن لا يكون إسرائيلياً يهوذياً داودياً سليمانياً؛ إذ حصول هذه الأوصاف له أيضاً من جانب الأم لا الأب؛ فلا يكون مسيحاً موعوداً به.

واعتبار هذه الأوصاف باعتبار الأم، وعدم اعتبار كونه عمونياً ومؤآبياً من جهة الجدات ترجيح بلا مرجح، وهذا وارد على داود سليمان أيضاً باعتبار «راعوث».

والمسيحيون الذين يغلون في شأن عيسى عليه السلام فيرفعونه إلى رتبة الألوهية، هم أنفسهم يعتقدون ـ كنصوص العهدين: القديم والجديد ـ أنه مازال يتقلب في الأصلاب والأرحام النجسة! إلى أن حملت به السيدة البتول مريم ابنة عمران.

وقد مر بك أنه عموني موآبي، وأنه من أولاد «فارص» الذي ولدته «ثامار» بالزنا من «يهوذا»، وأن داود وسليمان وآباءه الآخرين منحدرون من هذا السفاح ـ كما جاء في الإصحاح الأول من إنجيل متى ـ وأن داود رئيس جماعة الرب وابنه البكر زنا بامرأة «أوريا»، وأن سليمان ارتد في آخر عمره.

والعجب كل العجب كيف دخل داود وآباؤه حتى «فارص بن يهوذا» في جماعة الرب، في حين أنه قد ورد في الإصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية أنه «(٢)لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل منه أحد في جماعة الرب».

وهم يعتقدون كذلك أن إلههم يسوع المسيح قد استحق اللعنة من أجلهم ـ كما صرح بذلك مقدَّسهم بولس في العدد (١٣) من الإصحاح الثالث من رسالته إلى أهل غلاطية ـ «المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: ملعون كل من علق على خشبة».

وهم يعترفون بأنه مات ونزل جهنم بعد موته وأقام فيها ثلاثة أيام، فقد نقل «جواد بن ساباط» هذه العقيدة من كتاب «الصلاة» المطبوع سنة ١٦٠٣هكذا: «كما أن المسيح مات لأجلنا ودفن، فكذا لا بدّ أن نعتقد أنه دخل جهنم».

وذكر الراهب «فيلبس كواد» في كتابه المطبوع سنة ١٦٦٩ ردّاً على رسالة أحمد الشريف بن زين العابدين عند ذكر السيد المسيح: «الذي تألم بخلاصنا وهبط إلى الجحيم ثم في اليوم الثالث قام من بين الأموات».

وقال صاحب «ميزان الحق» في كتابه المسمى: بـ«حل الإشكال في جواب كشف الأستار»: «الحق أنه يوجد في العقيدة المسيحية أن المسيح دخل جهنم وقام في اليوم الثالث وعرج إلى السماء».

بقي أن نقول: إن لاعن الله واجب الرجم بحكم التوراة، وقد رُجم واحد على هذا الوزر في عهد موسى عليه السلام[١]، بل إن لاعِن الأبوين أيضاً واجب القتل[٢]، فضلاً

---

(١) سفر اللاويين ـ الإصحاح الرابع والعشرون.

(٢) سفر اللاويين ـ الإصحاح العشرون ـ العدد التاسع.

عن لاعن الله، وبذلك يكون المسيحيون مستحقين للرجم للعنهم المسيح الذي هو ابن الإله عندهم، بل هو الإله في زعمهم.

وأخيراً نقول: إن موت عيسى ينفي ألوهيته، ففي العدد ٢٨ من الإصحاح الأربعين من سفر أشعيا: «أعرفت أم لم تسمع إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكلُّ ولا يعيا، ليس عن فهمه فحص».

وفي العدد ٦ من الإصحاح الرابع والأربعين من السفر المذكور: «هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه رب الجنود، أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري».

وفي العدد ١٠ من الإصحاح العاشر من سفر أرميا: «أما الرب الإله فحق، هو إله حي وملك أبدي ...إلخ».

وفي العدد ١٢ من الإصحاح الأول من سفر حبقوق: «ألست أنت منذ الأزل يارب إلهي قدوس، لا تموت».

وفي العدد ١٧ من الإصحاح الأول من الرسالة الأولى يموثاوس: «وملك الدهور الذي لا يفنى ولا يرى الإله الحكيم وحده له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور آمين».

فكيف يعجز ويموت الذي هو إله سرمدي أبدي بريء من الضعف والتعب حي قدوس لا يموت ولا إله غيره؟!

لكل ما سبق ولما وقع في الديانة المسيحية من الخبط والخلط والتحريف والتشابه بينها وبين الديانات التي سبقتها، قام متشككون من المسيحيين أنفسهم ينكرون وجود السيد المسيح، وقد جمع الأستاذ عباس العقاد جميع ملاحظاتهم في نقده لكتاب «إميل لدفج» عن السيد المسيح إذ يقول: «إن الذين يرددونه أكثر من سواه أن كل شعيرة في المسيحية قد كانت معروفة في ديانات كثيرة سبقتها، حتى تاريخ الميلاد وتاريخ الآلام قبل

الصليب .. فاليوم الخامس والعشرون من شهر ديسمبر الذي يُحتفل فيه بمولد المسيح كان هو يوم الاحتفال بمولد الشمس في العبادة المثرية.

إذ كان الأقدمون يخطئون في الحساب الفلكي إلى عهد جوليان، فيعتبرون هذا اليوم مبدأ الانقلاب الشمسي بدلاً من اليوم الحادي والعشرين في الحساب الحديث، وقد اعترضت الكنيسة الشرقية على اختيار اليوم الخامس والعشرين لهذا السبب وفضلت أن تختار لعيد الميلاد اليوم السادس من شهر يناير الذي تعمد فيه السيد المسيح، على أن هذا اليوم أيضاً كان عيد الإله ديونيسيس عند اليونان وبعض سكان آسيا الصغرى، وكان قبل ذلك عيد «أوزيريس» عند المصريين، ولا يزال متخلفاً في العادات المصرية إلى اليوم، ففي اليوم الحادي عشر من شهر طوبة وكان يوافق السادس من شهر يناير في التاريخ القديم ـ كان المصريون يحتفلون بعيد إلههم القديم ولا يزالون يحتفلون به في عصرنا هذا باسم عيد الغطاس، وقد اتخذت المسيحية اليوم الخامس والعشرين من شهر مارس تذكاراً لآلام المسيح قبل الصلب، وهذا هو الموعد نفسه الذي اتخذه الرومان قبل المسيح لتذكار آلام الإله أتيس إله الرعاة المولود من نانا العذراء بغير ملامسة بشرية، والذي جب نفسه في هذا الموعد ونزف دمه في جذور شجرة الصنوبر المقدسة.

وقد كان اسم العذراء مريم بصيغه المختلفه قسماً مختاراً لأمهات كثيرة من الآلهة والقديسين مثل أدونيس ابن ميرة، وهرمز ابن مايا، وفيروش ابن مريانا، وموسى بن مريم، وبوذا بن مايا، وكرشنا بن مارتالا، وهكذا بحيث يظن أن هذا الاسم شائع لا يدل على ذات معينة.

ومما يجرى في هذا المجرى أن تماثيل إيزيس وهي تحمل ابنها حوريس كانت رمزاً في الكنائس الأولى للعذراء مريم وابنها المسيح، ولما كانت إيزيس إلهة البحر، وكان اسمها عند الرومان كوكب البحر، أي ستيلا ماريس Stella Maris فليس يبعد أن يكون لهذا

الشبه علاقة بالتشابه في الاسماء.

وقد رُويت رواياتٌ كثيرةٌ عن الآلهة والأبطال المولودين من الأمهات العذراوات قبل المسيح، فكان بعض الفرس يعتقدون أن زرادشت ولد من أم عذراء، وكذلك كان الرومان يعتقدون في أتيس، والمصريون يعتقدون في رع، والصينيون يعتقدون في فوهي ولاو.

وقال فلو طرخس في رسالته عن إيزيس وأوزيريس إن الحمل يحصل في هذه الأحوال من الأذن، وهو ما يفسر صورة العذراء في القرون الوسطى، إذ كانوا يرسمونها وشعاع من النور يتجه إلى إحدى أذنيها، وقال ترتوليان إن شعاعاً سماوياً هبط على العذراء فحملت بالسيد المسيح.

أما التكفير بالموت فكثير في قصص الديانات القديمة، وأقربه إلى مواطن المسيحية عبادة تموز الذي كانوا يحتفلون بموته وبعثه في أنطاكية، وسرت عادة البكاء عليه إلى النساء اليهوديات فكن يندبنه على باب الهيكل، وأنّبهن على ذلك النبي حزقيال. وجاء في التلمود أن رجلاً يسمى يسوع قتل وعلق على شجرة قبل الميلاد بمئة سنة.

والعشاء الرباني كان معروفاً في عبادة «مترا» على الطريقة التي عرف بها في المسيحية، بل كان الخبز الذي يتناوله عباد مترا في ذلك العشاء يصنع على شكل الصليب، وقد أسف جوستن مارتر في سنة ١٤٠ لهذه المشابهة وعدها مكيدة شيطانية لتضليل المؤمنين.

والمعجزة الأولى للمسيح وهي تحويل الماء خمراً معروفة في عبادة ديونيسيس إله الخمر وإله الشمس، ومن حيواناته المقدسة الحمل والحمار، وعلى الحمار كان ركوبه، حتى قيل أنه كان له حماران فجعلهما نجمين في السماء، وبهذا الرمز يرمز البابليون إلى مدار السرطان.

فالخلط بين المسيح وديونيسيس في ركوب الأتان وتحويل الماء موضع نظر، ومثله الخلط بينهما في المذود الذي وضعا فيه عند الولادة كما جاء في إنجيل لوقا حيث قال: «وفي تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتب كل المسكونة، وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والي سورية فذهب الجمع ليكتتبوا كل واحد إلى مدينته، فصعد يوسف أيضاً من الجليل مدينته الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى، وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في المذود، إذ لم يكن لها موضع في المنزل».

أما الإحصاء في هذا التاريخ فلم يرد له أي ذكر في تراجم أوغسطس ولم تجر العادة قط في دولة الرومان أن يكلف الناس السفر من بلادهم إلى البلاد التي عاش فيها أجداداهم الأسبقون ليكتبوا أسماءهم هناك، فالرواية مستهدفة للملاحظة من عدة جهات.

ولم يتفق على المكان الذي ولد فيه المسيح كما لم يتفق على الزمان الذي ولد فيه، فمن قائل أنه ولد في الناصرة، ومن قائل أنه ولد في بيت لحم، والذين يقولون أنه ولد في بيت لحم يذهبون إلى هذا القول لتأييد النبوءة التي تنبئ بظهور المسيح من نسل داود: وهو في بيت لحم لا في الناصرة.

وجاء في إنجيل متى أن يوسف النجار رأى في المنام أن هيرود الطاغية سيقتل كل طفل يولد في بيت لحم لذلك العام، مع أن هيرود مات في السنة الرابعة قبل الميلاد، ومع أن يوسفيوس المؤرخ لم يذكر خبر هذه المذبحة فيما أحصاه لهيرود من الآثام.

وقد سبقت روايات كهذه عن النمروذ وفرعون مصر وغيرهما من الأمراء الذين أنذرتهم النبوءات بظهور أعدائهم قبل مولدهم، فهي روايات لا تدل على شيء يعتمد على

التاريخ، ولم تكتب هي ولا كتب غيرها مما ورد في الأناجيل إلا بعد عهد المسيح بعشرات السنين.

أما الذين عاصروه أو قاربوه غير التلاميذ فلم يذكروا عنه شيئاً ولم يدونوا له خبراً...حتى تعجب فوتيوس بطريق القسطنطينية حين قرأ في القرن التاسع تاريخ جستس الطبري المكتوب بعد المسيح ببضع سنوات فوجده غفلاً من ذكره، وهو مولود حيث ولد المسيح في الجليل... ولم يشر بليني الأكبر بكلمة واحدة إلى الخوارق التي نسبت إليه، وهو كثير العناية بجمع الخوارق في تاريخه الطبيعي المؤلف بعد المسيح بثلاثين أو أربعين سنة.

وثبت أن النسخ الصحيحة من تاريخ يوسفيوس المنتهي بالسنة الثالثة والتسعين بعد الميلاد خلو من الفقرتين المشار فيهما إلى المسيح على عجل واقتضاب، وأن هاتين الفقرتين مدسوستان على بعض النسخ في القرون الوسطى، ويقال مثل ذلك في كتب أخرى وردت فيها مثل هذه الإشارات المبهمة بصيغة لا تثبت على المضاهاة والتمحيص». انتهى.

* * *

خاتمة

عيسى عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم

سورة البقرة:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧].

سورة آل عمران:

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [آل عمران: ٣، ٤].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا

رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * هُنَالِكَ
دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ * فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا
مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ
ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ * قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا
وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ * وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ
وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ * يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ
* ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ
وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ
ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ
وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ
مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ
وَٱلْإِنجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ
ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ
ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ
وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ * فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ

فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ * وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ * إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ * ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٣٣ ـ ٥٩].

سورة النساء:

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا * بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٦ ـ ١٥٩].

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا * لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم

مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧١ ـ ١٧٣].

سورة المائدة:

﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ * وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٧ ـ ١٨].

﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ * وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٦ ـ ٤٧].

﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ * لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ * مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ * قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ

ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٢ ـ ٧٧].

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ * إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ * قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٠ ـ ١١٩].

سورة الأنعام:

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٥].

سورة التوبة:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠ـ٣٢].

سورة مريم:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا * فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا * فَأَتَتْ

بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًۭٔا فَرِيًّۭا * يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍۢ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّۭا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّۭا * قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّۭا * وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّۭا * وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًۭا شَقِيًّۭا * وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّۭا * ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۢ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًۭا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ١٦ ـ ٣٥].

﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّۭا * تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًۭا * وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًۭا * لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّۭا * وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٩ ـ ٩٥].

سورة المؤمنون:

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةًۭ وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍۢ ذَاتِ قَرَارٍۢ وَمَعِينٍۢ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

سورة الزخرف:

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوٓا۟ ءَأَـٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٧ ـ ٥٨].

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌۭ مُّسْتَقِيمٌۭ﴾ [الزخرف: ٦٣ ـ ٦٤].

سورة الحديد:

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

سورة الصف:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

سورة التحريم:

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].

* * *

المسيحُ عيسىٰ ابن مريم عبدُ الله ورسولُه

سورة البقرة:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٦، ١١٧].

سورة آل عمران:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

سورة النساء:

﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨].

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا * لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧١، ١٧٢].

سورة المائدة:

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٧].

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٢ ـ ٧٧].

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ

يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٩].

سورة الأنعام:

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١].

سورة التوبة:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠ ـ ٣٢].

سورة يونس:

﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [يونس: ٦٨ : ٦٩].

سورة الإسراء:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [الإسراء: ١١١].

سورة الكهف:

﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا * مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٤، ٥].

سورة مريم:

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ سُبْحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [مريم: ٣٠ ـ ٣٥].

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا * لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا * تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا * وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩٥].

سورة الأنبياء:

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧].

سورة المؤمنون:

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١، ٩٢].

سورة الفرقان:

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

سورة الصافات:

﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الصافات: ١٥١، ١٥٢].

سورة الزمر:

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ * لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٣، ٤].

سورة الزخرف:

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٧ ـ ٥٩].

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ * سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف: ٨١، ٨٢].

سورة الزمر:

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ

كَفَّارٌ * لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَـٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٣، ٤].

سورة الصف:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

سورة الإخلاص:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

* * *

مراجع البحث

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ تفسير القرآن الحكيم المسمى «تفسير المنار» للسيد محمد رشيد رضا رحمه الله.

٣ـ الكتاب المقدس بما فيه من: أسفار العهد القديم، والعهد الجديد، ورسائل الرسل.

٤ـ قرارات المجامع المقدسة.

٥ـ ما ترجم من التلمود إلى اللغة العربية.

٦ـ قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، المطبعة الإنجيلية ببيروت، عام ١٩٦٤ م.

٧ـ فهرس الكتاب المقدس، للدكتور جورج بوست، مكتبة المشعل الإنجيلية ببيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٥٨م.

٨ ـ دائرة المعارف، للبستاني.

٩ـ إظهار الحقّ لرحمة الله الهندي الدهلوي، المطبعة السلطانية، سنة ١٢٨٤هـ.

١٠ـ الفارق بين المخلوق والخالق، لعبد الرحمن بن سليم البغدادي الشهير بباجه جي زاده.

١١ـ المسيحية: نشأتها وتطورها، تأليف شارل جنيبر أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان، جامعة باريس، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله، المكتبة العصرية، صيدا ـ لبنان.

١٢ـ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، تأليف محمد عزة دروزة، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، «سلسلة اخترنا لك» (الرقم ٨٣).

١٣ـ محاضرات في النصرانية، لفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله، مطبعة يوسف، الطبعة الثالثة، ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦م.

١٤ـ الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، للدكتور علي عبد الواحد وافي رحمه الله تعالى، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٦م.

١٥ـ عبقرية المسيح، للأستاذ عباس محمود العقاد.

١٦ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، للأستاذ العقاد أيضاً.

١٧ـ «الله» كتابٌ في نشأة العقيدة الإلهية. للعقاد أيضاً.

١٨ـ قصة الحضارة، (المجلد الأول، والمجلد السادس: قيصر والمسيح) تأليف وِلْ ديورانت، ترجمة محمد بدران، مكتبة الأسرة.

* * *

من آثار المؤلف

١ـ سِيَر أعلام المحدثين، طبع بدار البشائر الإسلامية ببيروت، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢ـ التركة والميراث في الشريعة الإسلامية على المذاهب الأربعة وغيرها، مع مدخل في الميراث عند الشرائع القديمة والحديثة، بحث مقارن، طبع بمركز علوم الحديث النبوي بدمشق.

٣ـ الجدول الحديث في علم مصطلح الحديث، طبع في الكويت وفي دمشق، ويوزع مجاناً.

٤ـ المرجع الحديث في علوم السنة، ومصطلح الحديث، تحت الطبع.

٥ـ فضائل القرآن الكريم، وآداب تلاوته وسماعه، وأحكام تجويده، تحت الطبع.

٦ـ الموسوعة الإسلامية الكبرى عن الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، وتشمل:

١) حياة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، رضي الله تعالى عنه.

٢) فقه الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، والأصول التي بُني عليها مذهبه.

٣) إفحام الخصام بدحض المطاعن الموجهة إلى الإمام.

٤) عقد الجمان الجامع لكلمات، ووصايا، ومناظرات، ورسائل الإمام أبي حنيفة النعمان.

٥) إتحاف الأنام بمسانيد الإمام أبي حنيفة النعمان.

٧ـ ميلاد الخلود أو الجهاد في سبيل الله، قدَّم له فضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين الشهيد حسن البنا تغمده الله برحمته، طبع قديماً.

٨ ـ الإسلام والسلام.

٩ـ الجزية ومعاملة أهل الذمة.

١٠ـ أحكام الحج والعمرة، وآداب زيارة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

١١ـ الأدعية والأذكار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

١٢ـ مختارات من مثنوي جلال الدين الرومي.

١٣ـ الجداول المختارة في علوم النحو، والصرف، والبلاغة، وقواعد الإملاء، وعلامات الترقيم.

١٤ـ دار المحفوظات المصرية في ماضيها وحاضرها، ونظم الحفظ بها.

* * *

فهرس المحتويات

* * *

JEWISH AND CHRISTIAN THEOLOGY

A Study of the Old & New Testaments

by: Sheikh Ahmad Mukhtar Ramzi

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب من الناحية التوصيفية:

أسفار العهد القديم * الأناجيل المعتمدة وغير المعتمدة عند المسيحيين * رسائل الرسل * صفات الله والنبوة وبعض الشرائع في التوراة والإنجيل.

ويتناول بالنقد والتمحيص:

ألوهية المسيح * عقيدة التثليث * عقيدة الصلب والفداء مع بيان جذورها الوثنية * ويعرض صورة الأنبياء في الأناجيل والأسفار * المسيح كما صوّرته الأناجيل * وبحوثاً أخرى هامة * مع التوثيق والرجوع إلى المصادر والبحوث المختصة.

ويختم باستعراض سيرة المسيح ـ عبد الله ورسوله عليه السلام ـ في آيات القرآن الكريم.



9 789957 230739



دار الفتح للدراسات والنشر

www.alfathonline.com